جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة

ماستر أكاديمي

ميدان: علوم إنسانية

فرع: فلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: آمنة محدادي

الموضوع :

اليوتوبيا في فلسفة نيتشه

نوقشت علنا يوم : 2015/06/04م

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

- الدكتور علي سعد الله .....رئيسا
- الأستاذ: أحمد زيغمي.....مشرفا
- الأستاذ عمر بالرابح ....ممتحنا

الموسم الجامعي: 2014 / 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

أمي الغالية و أبي الحنون حفظهما الله

إلى أخوتي كل باسمه

إلى روح جدي علي الطاهرة

إلى أجمل ما خلق الله و إلى أجمل ما أخذ الله الملاك عبد الله رحمة الله عليه

إلى العائلة الكريمة محدادي

إلى الأصدقاء و الزملاء

(حنان ، سعاد ، أم عبد القادر الأمير، نجاة ، كريمة ، فاطمة، عائشة ، كنزة ، عامرة

فاطمة الزهراء ، جليلة)

إلى الذين لم أذكرهم هنا ، ليس سهوا و لا نسيانا إنما لأن الأوراق لا تفيهم حقهم

لكم جميعا مع التحية

شكر و عرفان

الشكر و الفضل لله الذي منَّ عليا بنعمته فالشكر و الحمد له

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ المشرف أحمد زيغمي ، الذي قدم لي التوجهات و النصائح و الإرشادات ، فله كل الشكر و التقدير و الامتنان .

إلى

الأستاذ الدكتور علي سعد الله

الأب الروحي لتخصص الفلسفة بجامعة قاصدي مرباح ورقلة

إلى جميع أساتذة الذين رافقونا طوال أربع سنوات في هذا التخصص

رياض طاهير و بن قويدر عاشور و لعموري شهيدة و لبوز عبد الله و إلى الأستاذ عمر برابح ، بن غزالة محمد الصديق

كما لا أنسى أساتذتي و معلميا خارج الطور الجامعي و أذكر بالأخص

الطالب و الإمام محمد برماكي حفظه الله و رعاه

و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو بعيد ، فلهم جميعا كل الشكر و الامتنان.

مقدمة

مقدمة

تعد اليوتوبيا من المظاهر الفلسفية و السياسة التي تم تناولها بشكل كبير من قبل المفكرين و الفلاسفة و الأدباء أيضا ، حيث أن ممارسة اليوتوبيا ليست متوقفة إلا بتوقف الجنس الانساني ، وقد أسهمت الأعمال اليوتوبية بتشكيل صور الواقع الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و الإنساني حتى و ذلك على الرغم من و صفها بأنها مشبعة بالمثالية الحادة التي يستحيل تحقيقها على أرض الواقع ، وقد تعددت اليوتوبيات بتعدد الأمكنة و اختلاف الأزمنة و عمالها ، أو منتجيها ، وتعد يوتوبيا أفلاطون من أبرز اليوتوبيات على الاطلاق إضافة إلى يوتوبيات أخرى كـ مدينة الله للقديس أغوسطين و أراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي و يوتوبيا توماس مور ، غير أن هذا لا يعني أن الفعل اليوتوبي متوقف على هذه الأسماء ، فهناك ممارسات يوتوبية تجاوزها التاريخ وذلك بضياعها ، و أخرى على الرغم من تواجدها فلم ينظر لها البتة على أنها يوتوبيات ، وهذا ما دفعنا للبحث عن يوتوبيات كامنة في فلسفات بعض المفكرين والفلاسفة وكان نيتشه هو موضوع الدراسة في هذا البحث .

فريدريك نيتشه (1844-1900م)هو فيلسوف و شاعر ألماني ، من أبرز الممهدين لعلم النفس ، كما يعتبر عالم لغوي، و قد برز نيتشه بأفكاره و فلسفته التي قال عنها هو أنها في غير أوانها ، و إنه يكتب لـ الأجيال اللاحقة و تعد فلسفته ميتافيزيقية بامتياز فعلى الرغم من العملية النقدية إلا أنه غير النظرة للعالم من وجهة نظر أنطولوجية إلى أخرى قيمية . فهو فيلسوف التراتب والقيم ، وهذا ما دفعنا إلى البحث أولا في فلسفته من حيث هي فلسفة مغايرة ، ثم البحث عن إمكانية وجود يوتوبيا داخل هذه الفلسفية النيتشاوية .

وعلى هذا الأساس جاءت الدراسة للإجابة عن جملة من الإشكاليات و التساؤلات :

ما المقصود بـ اليوتوبيا ؟ و هل يمكن البحث في تاريخية الفعل اليوتوبي ؟

هل يمكن إعتبار اليوتوبيا فلسفة ؟ ما هو واقع اليوتوبيا ؟ و كيف يمكن البت في جدل:(اليوتوبيا بين ضروريتها الإنسانية و انتقادها) ؟

هل النقد النيتشاوي للميتافيزيقا أوقعه في ميتافيزيقا مضادة ومعاكسة ؟

هل يمكن أن نعد هذا النقد مؤسسا لـ يوتوبيا مخصوصة مميزة ؟

إذا كانت موجودة فما قيمة حضورها؟ على أي أساس تقوم هذه اليوتوبيا إذا ما افترضنا وجودها

تلك هي بعض الأسئلة التي سأحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث، و الذي دفعت إليه مجموعة من الأسباب و التي تتراوح ما بين الذاتي والموضوعي:

الأسباب الذاتية

- رغبة البحث في **اليوتوبيا** ،على أساس أن المصطلح صادفني كثيرا ، إلا أنه أثناء مطالعتي لـ كتاب "المدينة الفاضلة عبر التاريخ" لـ مؤلفته **ماريا لويز برنيري** (marina Luisa brini)، تصحح لي بعض التصورات الخاطئة و المسبقة حول المصطلح و الممارسة مما حفزني إلى البحث في الموضوع.

الأسباب الموضوعية

- من أبرز الأسباب التي جعلتني أختار هذا العنوان هو قلة الدراسات حول موضوع اليوتوبيا، كما أن أغلب الكتب تناولت فلاسفة يوتوبيات شهيرة ، و لم تقف على اليوتوبيات الكامنة و التي يعد نيتشه من بينها .

- دراسة الفلسفة الغربية ونصوصها التأسيسة خصوصا أن الفلسفة النيتشاوية تعد جزء من الفلسفات التي أسست وشكلت العالم الغربي المعاصر (الحرب العالمية 2/1)
- الرغبة في التخصص في الفلسفة الغربية في الدراسات العليا .

فعلى الرغم من خصوبة الفلسفة النيتشاوية إلا أنه لا توجد دراسات حول موضوع اليوتوبيا في فلسفة نيتشه على حد علمي و اطلاعي في الدراسات العربية ، و قد اعتمدت على مجموعة من المناهج في هذا البحث والتي من أبرزها :

المنهج التحليلي ذلك أن هذا العمل يحتاج إلى النبش في النصوص النيتشاوية و محاولة تبرير و تعليل حضور اليوتوبيا من عدمها في فلسفة نيتشه إضافة إلى المنهج النقدي الذي يعد ضروريا في البحث الفلسفي حيث أن جملة من البديهيات والمسلمات سوف نقف أمامها موقف مساءلة ونقد.

ويقوم هذا البحث الذي سنحاول من خلاله الإجابة على مجموعة الاشكاليات سابقة الذكر على أربعة فصول يحتوي كل منها على مجموعة من المباحث .

الفصل الاول : ويحمل عنوان اليوتوبيا: الفكرة و المخيال ، و الذي حاولنا فيه ضبط مفهوم اليوتوبيا والبحث في ماهيتها ، ثم تم التطرق لليوتوبيا بوصفها فلسفة و هذا في المبحث الثاني ، هذا لـ الاشارة للتداخل بين كل منهما ، و في المبحث الأخير تناولت واقع اليوتوبيا بين جدلية النهاية و الضرورة الإنسانية ، و هذا من أجل البحث في مصير الفعل اليوتوبي في العصر المعاصر .

أما **الفصل الثاني:** الذي حمل عنوان ، البعد الميتافيزيقي في فلسفة نيتشه ،فقد تناولنا فيه مجموعة من المباحث أولها الثورة على الميتافيزيقا الكلاسيكية ، و هو عبارة عن توضيح لعملية الهدم التي قام بها نيتشه ضد الفلسفة الكلاسيكية ، ثم تلاه مبحث آخر يحمل عنوان الميتافيزيقا المضادة و الذي يتطرق

للفلسفة النيتشاوية و أسسها ، ومبحث أخير في الفصل الثاني تناول إرادة القوة بوصفها أساسا لليوتوبيا النيتشاوية.

أما **الفصل الثالث** فقد حمل عنوان موضوع اليوتوبيا النيتشاوية ، و الذي اشتمل على أربعة مباحث ، أولها بعنوان القيم و المبحث التالي الإنسان و المبحث الثالث حمل عنوان الميثيولوجيا أما الفصل الرابع فقد تناول موضوع الفن.

و أخيرا **الفصل الرابع** المعنون بـ النموذج اليوتوبي عند نيتشه و الذي يحوي ثلاثة مباحث أولها الإنسان الأعلى ثم مبحث آخر بعنوان هوية الإنسان الأعلى و أخيرا و ليس آخرا الفلسفة المبشرة بالإنسان الأعلى . ثم تقيم ، و انتهى البحث إلى خاتمة التي احتوت أهم نتائج البحث .

ومن أجل أن يتسم البحث بالجدية المطلوبة فقد تمت الاستعانة بأبرز مصادر نيتشه إضافة إلى مجموعة من المراجع التي تتناول الموضوع والتي من أهمها:

1- كتاب توماس مور : اليوتوبيا ، و كتاب افلاطون : الجمهورية ،هذا بالنسبة لموضوع اليوتوبيا أما حول مصادر نيتشه فقد أسْتُخدم أغلبها ، ومن بين أبرز ما تم الاعتماد عليه كتاب هكذا تكلم زارادشت و عدو المسيح و إنساني مفرط في إنسانيته إضافة لكتاب أصل الأخلاق وفصلها.

2- أما بالنسبة للمراجع : ماريا لويز برنيري(1918- 1949)، المدينة الفاضلة عبر التاريخ و كتاب كارل منهايم الايدولوجيا و اليوتوبيا (في ما يخص اليوتوبيا) أما في ما يخص نيتشه فالمراجع عديدة و متنوعة ، أهمها نيتشه لجيل دولوز ، و نيتشه و سياسة الفلسفة لـ محمد أندلسي ، إضافة لمحمد الشيخ في كتابه نقد الحداثة في فلسفة نيتشه وكتاب نيتشه لعبد الرحمان بدوي .

3- و بالإضافة إلى المصادر والمراجع تمت الاستعانة بمجموعة من الموسوعات و المعاجم كـ موسوعة لالاند ، و المعجم الفلسفي لجميل صليبا بجزأيه الأول و الثاني . كما لم تخل قائمة المراجع من الدراسات السابقة حول نيتشه أيضا .

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث نقص المراجع في ما يخص اليوتوبيا ، و إذا ما وجدت فإنها تعالج اليوتوبيا بوصفها ايديولوجيا و وجهة النظر هذه تبناها مانهايم و الفلاسفة اللاحقون بعده ، أما الصعوبة الأخرى فكانت في قراءة مابين أسطر النصوص النيتشاوية و هذا من أجل البحث عن يوتوبيا كامنة بداخلها .

الفصل الأول

المبحث الأول : ماهية اليوتوبيا

ضبط اصطلاحي:

إن أول استعمال للكلمة (Utopie) كان من قِبَل "**توماس مور** "[1] (Thomas more) ، و ذلك في عمله الأشهر "اليوتوبيا" ، فاليوتوبيا كفعل إنساني أو ممارسة بعيدة المدى مقارنة بتاريخ المصطلح الذي ظهر في العصر الحديث أي أن الكتابة اليوتوبية ليست رهينة عصر من العصور فهي مرتبطة بالوجود

1) توماس مور : (1477–1535 م) تلقى تعليمه في مدرسة القديس انطونيوس في لندن . ثم التحق وصيفا بمنزل الكاردينال جون مورتون الذي رعاه من 1490 م إلى 1492 م. التحق بجامعة أكسفورد و هو في الرابعة عشر من عمره ليمضي فيها عامين، كانت فترة قد بدأ فيها إحياء التراث القديم، الذي وصف بالعلم الجديد، كان أبوه "جون مور" محاميا ناجحا، ثم قاضيا، رغب أن يلتحق ابنه بدراسة القانون طريقا ينتهي به إلى الحياة العامة، و هكذا عاد توماس مور إلى لندن و التحق في 1494 م بجمعية "نيوان " ، ثم انتقل في 1496 م إلى جمعية " لينكونزان " و هما اثنتان من أربع جمعيات من حقها وحدها منح إجازة ممارسة مهنة الحقوق في بريطانيا و في 1500 م بدأ مور في ممارسة المحاماة. و في فترة لاحقة من حياته كانت تتنازعه رغبتان، رغبة في حياة الرهبنة، و الخدمة الدينية، و رغبة ثانية في مواصلة ممارسة القانون، و الحياة العامة، إلا أنه عدل عن فكرة الدخول إلى حياة الرهبة، و ذلك تلبية لرغبة والده. و قد شهدت الفترة ما بين م1504– 1505 م، فترة دخوله إلى البرلمان، و فترة زواجه أيضا، و قد دخل إلى البرلمان في سن السادسة و العشرين، وأدى دورا هاما في معارضة المطالب المالية للملك هنري السابع الذي طلب مبلغا كبيرا من المال بمناسبة زواج ابنته، إلا أن حركة المعارضة التي تزعمها مور نجحت في صدّه، و بعدما عرف الملك بالحادثة، دبر لتوماس مكيدة، فزج به في السجن حتى سدد الغرامة، فابتعد توماس مور عن الحياة العامة، و عاد إلى دراسة الكلاسيكيات، و اللاهوت. و بعد وفاة هنري السابع، ورث ابنه هنري الثامن عرشه، لتبدأ معه، مرحلة جديدة في الحياة العامة لمور .

أصبح سكرتير، و مستشار الملك هنري الثامن سنة 1517 م، و في عام1523 م، انتخب ناطقا باسم مجلس العموم . في عام 1529 أصبح وزيراً للعدل، و لكنه استقال من منصبه في عام1532 م، حينما رفض طلاق الملك، كما رفض قبول قانون السيادة. اتهم بالخيانة العظمى سنة 1534م، فسجن على إثرها، ليكب أثناءها "حوار الراحة ضد المحنة". في 6 يوليو1535 م، تم إعدامه عن طريق قطع الرأس.

من أبرز مؤلفاته : المقطوعة اللاذعة 1505 م، تاريخ الملك ريتشارد الثالث" (1513 – 1518) و "اليوتوبيا" (1516 م) و "حوار متعلق بالبدع" (1529).

انجيل بطرس سمعان، (من مقدمة ترجمته لكتاب): توماس مور، اليوتوبيا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، (ط2)، 1987، ص 16،36.

الإنساني لذا لا يمكن التأريخ لها على أساس أن البحث في العلل الأولى ومسألة البدايات أمر لا يمكن الوصول إليه و لا البت فيه ، و لكن المصطلح أو الكلمة ***Utopie*** التي ظهرت مع توماس مور مطلع القرن 16 م أصبحت تعبر عن ذلك الفعل. أي تعنى كل محاولة استخيال أو تصور أو حلم ينشد للتأسيس لمجتمعات مثالية شاملة متناسقة . إن الكلمة Utopie مشتقة من اللغة اليونان « Ou» و تعني " لا " و topos تعني " مكان " لكن توماس اسقط حرف" O" لتصبح (Utopie)[1] و معنى الكلمة إجمالا "***ما ليس له مكان***"[2] أي **الأين الذي لا أين له** . وجاء تعريفها في معجم لا روس : "اليوتوبيا مصطلح ظهر على يد **توماس مور** في 1532، للمدن الخيالية و غير المعقولة والدول المثالية ، فهي مشاريع إنجازها مستحيل ، فهي فكرة خيالية و مخطط ضخم يتحقق كيوتوبيا، و هي شبيهة بفكرة المدينة العالمية للجنس الإنساني[3]

فالمصطلح حديث النشأة كما سبقت الإشارة ، و يساهم الخيال بشكل كبير في تأسيس المدن الفاضلة ، و أصبح هذا المصطلح شائع الاستخدام في الأوساط الأدبية و الفكرية و الفلسفية و يُعبر مصطلح اليوتوبيا عن" *نظام سياسي أو اجتماعي مغرٍ، لكنه غير قابل للتحقق لا يحسب فيه أي حساب للوقائع الحقيقية لطبيعة الإنسان وظروف الحياة* [4] *فهي تُطلق على النظم السياسية و الاجتماعية التي يتعذر تحقيقها لعدم ٱنبنائها على الواقع أو لبعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته ، و من هذه المثل العليا فكرة*

1) ماريا لويز برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، تر:عطيات أبو سعود، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 225 ، 1997م، ص(07) .

2) أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ،تر:خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ،(ط2) 2001م، ص1516.

3) larousse ,didionnaire de langue francaise lexis ,France , 1990, p 1969.

4)أندري لالاند ، موسوعة لالاند ،المرجع نفسه ،ص1517.

السلام العام ، و فكرة التقدم المستمر ، و فكرة المساواة الطبيعية" .[1] فـ اليوتوبيا إذن عبارة عن تصور لمجتمع ما خالٍ من الشرور والصراعات و يتطبع بالقيم السامية والخير المطلق ، و أغلب اليوتوبيات جاءت في شكل مشاريع أدبية أو تصورات فلسفية وهي أنواع:

- **أنواع اليوتوبيا**

1) **اليوتوبيا الدينية:** هي الأقدم على الإطلاق تلتزم هذه اليوتوبيا بالشريعة الدينية و السلطان الإلهي الذي من خلاله ينجو الإنسان المتدين و يفوز بالجنان في العالم الأخر . *"و يسعى لهذه اليوتوبيا كل المتدينين مثل كتاب الفيدا الهندوسي و الأفيستا الزارادشتي وحتى الديانات السماوية "*[2] و من بين ابرز اليوتوبيات الدينية نجد "مدينة أله " **للقديس أوغسطين** *(*Augustinus Aurelius*) التي " تعبر عن الرؤية المسيحية لحركة التاريخ (...) و تتأسس هذه اليوتوبيا على فلسفة الحب التي بشر بها المسيح ، بمعنى أن الأخلاق ليس ما يقرره المجتمع أو الفرد أو الدولة بل الله الذي يمنح المشروعية الأخلاقية للفعل "*[3].

2) **يوتوبيا العلم** : يقوم هذا النوع على اتخاذ العلم أساسا لـ يوتوبيا ، و قد شاعت في الفترة المعاصرة قصص وأفلام الخيال العلمي ، و هي بذلك تنسج تصورا مغايرا للواقع الاجتماعي فتعيد تحديد ملامح المجتمع العصري المتطور علميا و تكنولوجيا ، و يعد **فرانسيس بيكون**(francis bacon) من أبرز من نظّر لـ يوتوبيا علمية و هذا من خلال كتابه "أطلنطس الجديدة " "*حيث قدم بيكون مشروعه المدني، بتأسيس أرضية علمية لمجتمع تقني و الحلم بتأسيس هيئة علمية عالمية*[4] *لقد حاول بيكون*

---

1)جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (د ط)، (ج 2)، 1982، ص 24 .

2)إ.عامر عبد زيد الوائلي ، اليوتوبيا و الفلسفة :القول اليوتوبي علاقته بتاريخ و رهانات الحاضر، منشورات الاختلاف ، الجزائر،(ط1) ،2014م ،ص.24 .

3) المرجع نفسه، ص.ص 25.26.

4) المرجع نفسه، ص 32.

أن يعطي أولوية للعلماء في يوتوبياه كما فعل أفلاطون عندما جعل حاكم جمهوريته فيلسوفا "[1] إن ما جعل **بيكون** يؤسس لـ يوتوبيا علمية هو نقده للمنطق الأرسطي باعتباره منهجا عقيما على خلاف المنهج الاستقرائي الذي يعطي دفعا لتطور العلم ، ف يوتوبيا **فرانسيس** حلم قبل أن تكون مجرد تصور.

3) **اليوتوبيا المدنية:** تبنى هذه اليوتوبيا على التصحيح الفكري ،"فأصحاب هذا النوع يعتقدون بـإلزامية التغير المدني في مشاريعهم السياسية والفلسفية ، إذ يرون بأن مصدر الفساد المدني كامن في الغلط الفكري " [2]. لذا يلجأ اليوتوبي من هذا النوع إلى البحث عن تنظير جديد أو بالأحرى محاولة تغير للواقع الاجتماعي و السياسي ..الخ و هذا بدءاً بـ الناحية الفكرية ، و من بين أبرز هذه اليوتوبيات التي تطمح للتغير هي اليوتوبيا الأفلاطونية ، حيث أن من الدوافع التي جعلته يفكر نقد الواقع السياسي التي عاشته أثينا سواء أثناء *الحرب البلوبونيزية (431ق.م/404ق.م) بين أثينا* واسبرطة[3] أو للأوضاع التي عاشتها بعد الحرب يقول " أفلاطون"(Plato) (تذمرا من الواقع السياسي و الاجتماعي التي تعيشه مدينته) : (*لقد سقطت الحكومة وقامت ثورة تسلم الحكم على إثرها إلى واحد و خمسين رئيساً، أحد عشر في المدينة وعشرة في ميناء "البيرايوس" أما السلطة المطلقة العليا فقد كانت في يد ثلاثين . و كان بينهم كثيرون من أقاربي و معارفي، و لقد دعوني لاختيار ما يناسبني من مناصب ، و كنت أعول عليهم الكثير من الآمال ولكنهما للأسف خيبوا آمالي (...) لذلك انصرفت عن حكمهم ،(..) و انتظرت فرصة تسنح لي للتدخل في توجيه الأمور ولكني انتهيت*

[1]) ماريا لويز برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، المرجع السابق، ص 163.

[2])عامر عبد زيد الوائلي ، اليوتوبيا و الفلسفة :القول اليوتوبي علاقته بتاريخ ورهانات الحاضر، مرجع سابق ، ص ص34.33 .

[3]) ماريا لويز برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، المرجع السابق ، ص 26 .

إلى أن جميع الدول الحالية ساء حكمها ، فلجأت إلى الفلسفة أستضيء بنورها حتى أتبين العدالة ما العدالة سواء في المجتمع أو حياة الفرد).[1]

و يتكلم "مور" في كتابه "اليوتوبيا" عن جزيرة يعيش فيها شعب تسود بين أفراده الحكمة والسعادة المثالية و هي تنظير مشابه للمدينة الفاضلة الأفلاطونية ، فاغلب ما يجعل هذه الجزيرة على قدر كبير من السعادة و الحكمة هو تلك القوانين و النظم و الأحكام التي سنها " **يوتوبوس** "[2] الذي هذب هذا الشعب وحوله من مجتمع بدائي إلى مجتمع متحضر إنساني ، وكما جاء على لسان مور أن " اليوتوبيا " لم تكن جزيرة في الأصل إنما مؤسسها ***أمر بحفر مسافة خمسة عشر ميلا على جانب الذي ترتبط عنده البلاد بالقارة وجعل البحر يجري حول البلاد*** [3] .

و يمكن التماس ذلك الجانب من الترتيب و النظام في اليوتوبيا انطلاقا مما ورد في الكتاب حيث يقول " **توماس مور** " :(*بالجزيرة أربع وخمسون مدينة كبيرة جميلة تتكلم جميعها بالنفس اللغة ، ولها نفس العادات والتقاليد وتسودها ذات القوانين والنظم ، و هي جميعا متشابهة أيضا في نظامها ومتشابهة أيضا أينما وجدت و بقدر ما تسمح به طبيعة الأرض حتى في مظهرها، و لا تبعد مدينة على أخرى أكثر من أربع وعشرين ميلا، و لا يفصل إحداها عن الأخرى أيضا أكثر من مسيرة يوم واحد*[4].) .

يتسم العمل اليوتوبي بسعة خيال ، فاليوتوبيات تتسم بالاتساق و النظام و الترتيب ، لذا نجد أن اليوتوبي يتكلم عن جل ما يتعلق بـ الدولة ومؤسساتها سواء سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا وأخلاقيا..الخ .

ما يجب التنبيه له هو *" أن الخيال اليوتوبي لم يكن غير استجابات مختلفة للمجتمعات التي نشأت فيها ،*

---

[1]) أفلاطون ، جمهورية تر: أميرة حلمي مطر ، مكتبة الأسرة ، مصر ، (د.ط) ، 1994 ، ص .ص 7.8

[2]) هو الفاتح الذي تحمل جزيرة اليوتوبيا اسمه بعدما كانت تحمل اسم أبراكسا ، (اليوتوبيا ، توماس مور ، تر: أنجيل بطرس سمعان ، ص (142) .

[3]) توماس مور، اليوتوبيا ، تر: أنجيل بطرس سمعان ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ،مصر ، (ط2) ، 1987 ، ص 142.

[4]) مصدر نفسه ، 142.

فكانت تعبير عن الرغبة في تغير الواقع القائم و تجاوزه و الحلم بحياة و مجتمع أفضل و أكثر عدلا ، لذلك لا يمكن فهم التفكير اليوتوبي قديمه وحديثة حتى نضعه في سياق تطوره التاريخي والاجتماعي ".[1]

و كثيرا ما لاقت اليوتوبية فشلا ، حيث أن أغلب اليوتوبيات لم تطبق على أرض الواقع نظرا لاتسامها بالمثالية المفرطة البعيدة عن الواقع البشري المليء بالصراعات والحروب والأنانية و على ثنائيات متعددة كالخير و الشر ، القوة والضعف ، العلم والجهل ، إضافة إلى الطبيعة الشريرة للإنسان على حد تعبير **هوبز** ، التي من شانها أن تعيق كل تلك الأحلام اليوتوبية الخيرة و تقف حائلا أمام إمكانية تحققها ووجودها .

غير أن هذا الكلام الأخير لا يجب أن يُؤخذ بصورة نهائية ، فهناك بعض المشاريع اليوتوبية التي تتحقق إما كليا أو جزئيا على أرض الواقع ، و على هذا الأساس يجب التميز بين يوتوبيا واقعية و أخرى غير واقعية ، فلا يعني أن كل اليوتوبيات تقوم على أفكار غير واقعية ، هذا ما يؤكده الفيلسوف **الأمريكي جون رولس** [2](John Rawls) "حيث يظهر الاختلاف الجوهري بين النوعين السابقين ، حيث أن الأولى (الواقعية) لها معقولية للتنفيذ لأن الفلسفة السياسية والاجتماعية يوتوبيا "[3] حسب رأيه .

إن الخيال اليوتوبي أحيانا يدفع الإنسان إلى التغير و تحويل بعض الأوضاع من حياته و مثال فكرة **أطلنطس** الجديدة **لـفرانسيس بيكون** و حلمه بمدينة علمية ، فالواقع أن التنظير لهذه الفكرة لم يبقى حبيس الكتب ، ففكرة المدن العلمية أصبحت موجودة حقا و مثال ذلك وكالة **الناسا** في (و م أ) إضافة

---

[1])) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ، مرجع سابق ، ص8.

[2]) جون رولس(1921– 2002) : John Rawls فيلسوف أمريكي ليبرالي و أستاذ في فلسفة سياسية في هارفارد يعتبر رولس من منظري ومؤسسي الاشتراكية حيث اهتم بالعدالة الاجتماعية .(عامر عبد زيد الوائلي ، اليوتوبيا و الفلسفة :القول اليوتوبي علاقته بتاريخ ورهانات الحاضر، مرجع سابق ، ص 32).

[3]) نوازد جمال ، اليوتوبيا و الفلسفة:ضرورة الفكر اليوتوبي في التغير الاجتماعي والسياسي عند أرنست بلوخ ، مرجع سابق ، ص 187.

إلى هذا فقد نظر " **إيمانويل كانط** " (*Immanuel Kant*) لفكرة السلام الدائم فقد كان أكثر الفلاسفة عناية بمسالة السلم و له أراء في المسائل الحقوقية و في فلسفة التاريخ و هو واضع المصطلح الالماني (volkerbund)[1] الذي طبقت بعد وفاته بنحو قرن وربع على عصبة الأمم الحديثة في 1920م"[2] ثم هيئة الأمم المتحدة 1945م ، رغم أننا لسنا هنا للكلام في مدى مصداقية عمل هذه التنظيمات إلا انه مبدئيا تحققت الفكرة الكانطية التي حلم بها.

اليوتوبيا فكرة قابلة نسبيا للتحقق ، و من هذا المنطلق يجدر التفريق بينها و بين الأسطورة ،لان كثيرين يؤكدون بأن اليوتوبيا هي ذاتها الأسطورة وهذا راجع إلى أن بينهما نقاط تلاقي فاليوتوبيا هدفها دائما التغير والتغير المستمر و الأسطورة لازالت توجه وتحرك السلوك البشري ، إضافة إلى سعة الخيال في كليهما ، رغم هذا فان هناك اختلاف جوهري بينهما هو " *أن اليوتوبيا تجعل من الإنسان منتقلا في جغرافيا الفكر و الثقافة و يبقى في ترحال مستمر و السعي إلى الأفضل ليس فقط في الخيال ، بل خيال المبدع يريد أن يصبح واقعا . لكن الأسطورة تعني تحديد الحياة الحالية عن طريق حدث أو مأساة أو تراجيديا الخلق في القدم كأسطورة الخلق في القدم . لذلك لا ترجع إلى المحاكاة الشفوية والمكتوبة حول حدوث العالم والكون ، و إنما تنظر إلى المستقبل كخط لسير وليس لـ الرجوع* "[3] فمجال اليوتوبيا

---

[1]) volkerbund : المقابل لهذه الكلمة بالعربية هو مصطلح **عصبة الأمم**

[2]) عثمان أمين ،من مقدمة مشروع السلام الدائم لـ امانويل كانط : ، المكتبة الأنجلو مصرية ،مصر ،(ط1) ، 1952م ، ص9.

[3]) نوازد جمال ،اليوتوبيا و الفلسفة: ضرورة الفكر اليوتوبي في التغير الاجتماعي والسياسي عند أرنست بلوخ ، مرجع سابق ،ص193.

أو بالأحرى زمنها المستقبل في حين ترتبط الأسطورة دائما بالماضي الذي يحرك المستقبل ، و من هذا المنطلق لا تعني اليوتوبيا **أسطورة**[1] لأن الأولى تبحث عن بديل للواقع من خلال محاولة تغيره .

[1]) الأسطورة: الأسطورة في اللغة هي الحديث الذي لا أصل له ، يقال إن هذا إلا أساطير الأولين الأسطورة قصة خيالية ذات أصل شعبي تتمثل فيها قوى الطبيعة بأشخاص يكون لأفعالهم ومغامراتهم معان رمزية ، كالأساطير اليونانية التي تفسر حدوث ظواهر الكون والطبيعة بـ تأثير الآلهة متعددة ، أو هي حديث خرافي يفسر معطيات الواقع الفعلي كأسطورة العصر الذهبي و أسطورة الجنة المفقودة (جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، ص 79)

المبحث الثاني : اليوتوبيا بوصفها فلسفة

سبقت الإشارة إلى أن اليوتوبيات أنواع ، فهناك **الفلسفية** و**الدينية و الإيديولوجية** وأغلبها جاء في شكل أدبي أو شعري ، وقد ظلت جُل الفلسفات اليوتوبية رهينة الورق رغم انطلاقها من الواقع ،تحاول اليوتوبيا تغير الواقع المعاش نحو الأفضل ويعتبر **أفلاطون** من ابرز المنظرين لليوتوبيا في كتابه "**الجمهورية**" حيث وضع جملة من القواعد والقوانين التي تنظم المجتمع في مدينته الفاضلة التي يتوجب على الحاكم فيها أن يكون فيلسوفا. وهكذا فان لكل يوتوبي رؤية مخصوصة و تصور مختلف عن غيره وما يجب الفت له هو أن اليوتوبيا تصور فلسفي ، فجل الفلسفات تحمل في طياتها عمل أو فكر يوتوبي حيث لا يكاد يخلو أي مشروع فلسفي من اليوتوبيا على اعتبار أن الفلسفة تدرس **الوجود** و **الإنسان** هذا الأخير الذي لا يستطيع أن يعيش إلا من خلال **الأمل اللامتناهي** الذي يجده إما في **الفلسفة** أو **الدين** والتدين أو في **الأساطير** أو **المشاريع اليوتوبية** التي تفتح له باب مستقبل بديل عن الواقع المعاش ، ومنه فان كل محاولة أو كل فعل يوتوبي هو في أساسه بحث عن الأفضل ونظرة جديدة مشرقة مخالفة للواقع المعاش .

إن جل الممارسات اليوتوبية تقوم في أساسها على جذور فلسفية ، ابتداءاً من "*مسالة الاهتمام اليوتوبي بالتغير فلم يكف الخيال البشري عن الحلم بواقع إنساني أفضل ولن يتوقف عنه في يوم من الأيام* [1] مرورا بانطلاقه من الواقع و الوجود و محدوديته ، حيث ليس بإمكان الإنسان نيل كل ما يريده ويتوقعه في الوجود على وجه الكمال ، وتلك المحدودية نوعان :

[1]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ،مرجع سابق ، ص8.

1. **محدودية موضوعية** : وتخص العوامل الطبيعية كالبيئة الجغرافية والوجودية التي تعرقل الإنسان على الحصول لما يريده أو يتمناه .[1]

2. **محدودية ذاتية** : تعني محدودية المواهب والقدرات البشرية في تحقيق آمالها ، فالإنسان يحاول تخطي الطوق الزماني والمكاني ، و من هنا يأتي جوهر فكرة اليوتوبيا بوصفها فعل فكري والخروج عن الواقع القائم .[2]

إن العمل اليوتوبي يتجاوز هذا الوضع فهو يبحث في ما يمكن أن يوجد أو يكون ، وهذا نتيجة لعدم رضى الإنسان وعدم قناعته لما هو موجود ، فيربي الإنسان فلسفة الأمل لديه من خلال الخيال و الأحلام اليوتوبية اللآ نهائية ، هنا يتحقق الفعل الفلسفي الحقيقي متمثلا في النقد .

النقد أداة ابستمولوجية ضرورية وملازمة لأي محاولة فلسفية عرفها التاريخ ، ولأن اليوتوبيا تنطلق من الواقع المحدود فهي بذلك تحاول تجاوزه انطلاقا من نقده ويمكن إيجاد جذور فلسفية في المحاولات اليوتوبية ، وهذه المحاولات تختلف من يوتوبي إلى آخر حسب توجهه ووجهة نظره ، وسنحاول اخذ نماذج على التوالي :

- **نماذج اليوتوبيا الفلسفية**

1) **أفلاطون** : لقد سبقت محاولة أفلاطون تنظيره للمدينة الفاضلة نقده للوضع الذي آلت له الأوضاع السياسة والاجتماعية ، "*فبعد الحرب البلوبونيزية الطويلة التي حاربت فيها اسبرطة أثينا ، وهزمت أخيرا الأسطول الأثيني البحري (...)و تم إقصاء النظام الديمقراطي ، و التخلي عن الديمقراطية على*

[1]) نوازد جمال ،اليوتوبيا و الفلسفة :ضرورة الفكر اليوتوبي في التغير الاجتماعي والسياسي عند أرنست بلوخ مرجع سابق ، ص 179.

[2]) المرجع نفسه ،179

أساس عجزها وفشلها في الحرب ، وعندما استسلمت أثينا نهائيا كان أحد شروط الذي فرضته اسبرطة على أثينا هو إعادة الزعماء الأرستقراطيين من منفاهم وبمجرد عودتهم أعلنوا الحرب على الحزب الديمقراطي الذي يحكم أثينا لكن هذه الثورة أخفقت " .[1] ، و في هذه الفترة تم فيها إعدام **سقراط (sacrâtes)** ، و قد هز موت سقراط على يد النظام الديمقراطي في نفس **أفلاطون** كثيرا وهذا "*ساقه إلى قرار يستدعي ضرورة القضاء على الديمقراطية واستبدالها بحكم الأعقل و الأفضل من الرجال و قد أمضي حياته و عمره باحثا عن وسيلة تهديه إلى اكتشاف أعقل الرجال و أفضلهم و إقناعهم وتمكينهم من الحكم*"[2] فجاء نقده للنظام الديمقراطي بسبب شيوع الظلم والفساد فقرر الفرار من أثينا اتجاه "*مصر وكذا ايطاليا وصقلية وتعرف هناك على "**بيديون** " صهر "**ديونسيوس**" حاكم مدينة "**سيراقوصة**" بصقلية ، واتفق معه على تدبير مؤامرات لتغير الحكم في تلك المدينة وانتهى الأمر بسوء العلاقة بين **أفلاطون** و"**ديونسيوس**" فسلمه إلى سفير اسبرطة و لكن صديقه "**أنكريس**" افتداه و عاد إلى أثينا و أسس **الأكاديمية** "*[3] .

لقد كان هدف أفلاطون بتأسيسه لهذه الأكاديمية هو انتقاء لمجموعة من الفلاسفة الذين بإمكانهم نشر النظريات السياسية و الاجتماعية في أنحاء البلاد ، و يرجح البعض أن أفلاطون كان مولعا بحكم اسبرطة " *فمعروف أن عقل المهزوم غالبا ما يكون مفتونا بقوة الغزاة ، لذا عندما شرع أفلاطون في بناء مدينته المثالية اتجه إلى اسبرطة و اتخذها نموذجا له* "[4] فاسبرطة لم تتخذ النموذج الديمقراطي للحكم الذي انتهجته أثينا وإنما انتهجت نظام الارستقراطي ، هذا الأخير اهتم به **أفلاطون** ولكن الطبقة

---

[1]) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، تر: فتح الله محمد المشعشع ، دار المعارف ،(ط6)، 1988، ص 9.

[2]) المرجع نفسه ، ص 19.

[3]) أفلاطون ، الجمهورية ، أميرة حلمي مطر ، مرجع سابق ، ص09.

[4]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ، مرجع سابق ص 27.

الارستقراطية التي ستحكم مدينته الفاضلة ليست بالتوريث أو لنبلها أو شرفها إنما لامتلاكها شرف العلم و المعرفة و الحكمة والفلسفة .

المعروف عن فلسفة أفلاطون أنها جاءت كرد فعل معاكس للفلسفة السفسطائية التي كانت تؤيد النظام الديمقراطي ، ليس هذا فحسب بل جاء ضد المغالطات التي كانوا ينتهجونها في تلاعبهم بالألفاظ وتأثيرهم على *"المستمع ببلاغتهم ومعارفهم حتى يرغب في الاستماع له مرة أخرى ومرات ، ومنها محاضرات مقفلة على من يدفع (..) وكان أكبر المتحمسين للاتصال بهم الشباب الأثيني الراغب في التعلم على أيديهم ليشارك في السياسة* "[1] و اعتبارهم أن "**الإنسان مقياس كل شيء** "[2]، مما يسمح بالفوضى حسبه وانتشار الفساد الاجتماعي والسياسي ، و قد اقترن اسم السفسطائيين بالتعليم بالمقابل المادي ، و هذا التعليم كان متاحا لفئات معينة فقط .

لقد قامت فلسفة أفلاطون على المثالية و العقل .و من هنا "استنكر أفلاطون أن يتولى كل الإنسان حكم نفسه فدعا على العكس من السفسطائيين إلى "ضرورة الالتزام الأخلاقي و بعدم المساواة و السلطة (ضرورة وجود سلطة عليا في المجتمع) "[3] حيث قلل من الحرية ،عكس الرؤية السفسطائية الداعية إلى إلغاء القوانين على اعتبار ، أن "القانون *قد أصبح طاغية يتحكم في الإنسان و يحرضه بشكل مستمر على إتيان أفعال غير طبيعية* "[4] ، و إضافة إلى ذلك فقد ***أقرّ(أفلاطون)*** *ضرورة وجود طبقة حاكمة ، كان من المنطقي أن يتجه لإقامة حكومة قوية ، لا تقتصر قوتها على السلطة التي يمكن أن تمارسها على عامة الشعب ، بل تتمثل فضلا عن ذلك في تفوقها الأخلاقي و العقلي و وحدتها الداخلية . فلا*

[1]) عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى افلاطون ، ذات أسلاسل ، الكويت ، (د.ط) ، 1993، ص 87.
[2]) المرجع نفسه ، ص 95 .
[3]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق ،ص28.
[4]) المرجع نفسه ، ص27.

يجوز اختيار الحكام أو الحراس في المدينة المثالية على أساس نسبهم و لا على ثروتهم ، (..) إنما لابد أن ينحدروا من سلالة طيبة و يتمتعوا بصحة جيدة وأن يكون لهم عقل راجح "[1].

يعد **أفلاطون** من دعاة التمايز والطبقية حيث يؤكد أن الطبيعة الإلهية هي التي بثت فيهم هذه الفروقات يقول :" ***أن الذي خلقهم قد مزج في الطبيعة بعضهم ذهبا ليكونوا حكاما وادخل في الطبيعة بعضهم فضة ليكونوا حراسا و جندا و خلط الباقي بالحديد و النحاس ليكونوا فلاحين وصناعا منتجين حاجات الإنسان المادية*** "[2] و يدخل هذا الكلام ضمن إيمانه المطلق بضرورة وجود حاكم ينظم شؤون البلاد [3].

لقد اسقط أفلاطون فلسفته على ممارسته اليوتوبية و تنظيره للمدينة الفاضلة ، فقد انطلق أولا من النقد وتقويض الفلسفة السابقة (**السفسطائية**) وكذا نقده للوضع الاجتماعي و السياسي بعد انتهاء الحرب انتهاءاً إلى تأسيس يوتوبي فلسفي (مدني) متمثلا في مدينته المثالية ، هذه الأخيرة في نظره وحدها الكفيلة بتحقق الأمان والقوة والعدل .

2) فرانسيس بيكون: وقف هذا الفيلسوف و العالم وقفة نقد للعلم و الفلسفة النظرية اليونانية و بالأخص الفلسفة الأرسطية التي شكلت العلم في العصور الوسطى و التي اتسمت بالعقم و عدم الإتيان بجديد ، فلم تُعنى هذه الفلسفة (الأرسطية و الوسطية) بالتجربة بل أهملتها ، و من هذه النقطة انطلق "بيكون" أي من نقده للفلسفة الأرسطية.

إن أولى غايات الفلسفة عند **فرانسيس بيكون** "هي المعرفة والغاية من المعرفة هو السيادة على الطبيعة ، ذلك هو الجديد عنده و الجديد على التفكير الفلسفي في مستهل العصور الحديثة. و هو جديد لان الفلسفة المدرسية في العصر الوسيط ، قد اقتصرت على المناقشة والجدل"[4]

---

[1]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص.ص 29.28.

[2]) افلاطون ، جمهورية ، أميرة حلمي مطر ،مرجع سابق ، ص 24

[3]) لـ الاستزادة أكثر أنظر **الملحق رقم 1** ، الذي يبين من خلال حوار سقراط و كولوكون كيفية اختيار الحارس الجيد ومن ثمة كيفية اختار الحاكم المناسب .

[4]) حبيب الشاروني ، فلسفة فرانسيس بيكون ،دار الثقافة ،المغرب ،(ط1)،1981، ص28

و من هذا المنطلق جاء نقده للعقل في كتابه **الأرغانون الجديد** الذي يقدم فيه أوهام العقل ثم المنهج الاستقرائي ، و الإشارة إلى كلمة **أرغانون** هي في الأصل إشارة لأ**رسطو** ونقده ، و ذلك بتجاوزه للمنطق الأرسطي إلى المنطق الاستقرائي." يقول **فرانسيس بيكون** " فليكف الناس عن التعجب من أن تيار العلوم لا يجري تقدما ، في طريقه الصحيح . فقد ضللهم منهج البحث الذي يهجر الخبرة التجريبية و يجعلهم يلفون ويدورون حول أنفسهم في دوائر مغلقة ، بينما المنهج القويم يقودهم من خلال أحراج التجربة إلى السهول تتسع لبداهات المعرفة"[1].

- **أصنام العقل (أوهام العقل)** : ويقسمها فرانسيس بيكون إلى أربعة أقسام وهي على التوالي:

1) **أوهام القبيلة** : وهي ناشئة من طبيعة الإنسان ، لذا كانت مشتركة بين جميع أفراده : فالبشر ميالون بالطبع إلى تعميم بعض الحالات دون الالتفات إلى الحالات المعارضة لها والى تحويل المماثلة إلى تشابه و تواطؤا وإلى أن نفترض في الطبيعة من النظام والاطراد أكثر مما هو متحقق فيها ، و إلى أَنْ نتصور فعل الطبيعة على مثال الفعل الإنساني ، فنتوهم لها غايات وعللا ذاتية.[2]

2) **أوهام الكهف** : ترجع بالأساس إلى مكونات الفرد البيولوجية كمزاجه وطبعه و إلى المكتسبات الثقافية وأرائه ،ورغباته الذاتية التي تحول دون إدراكه الحقيقة ، فيسجن نفسه داخلها بينما يطلب منه عكس ذلك تماما ، و المطلوب من الإنسان لأجل تفادي هذه الميول المغرضة ، أن ينمي قدراته الذهنية على إخضاع آراءه و أمانيه للنقد الموضوعي ، واحترام الأشياء كما توجد في الواقع [3] .

3) **أوهام المسرح** : وهي الأوهام أو الأخطاء الناتجة عن تأثير المفكرين القدامى في عقل الإنسان ،فيصبح هذا العقل وكأنه خشبة مسرح يعرض عليها المفكرون السابقون رؤاهم المتضاربة والمنفصلة عن الواقع الراهن .إن المتفرجين قد يأسرهم الإعجاب بالممثل وبراعته في تجسيد الدور فينسى المتفرج

---

[1]) يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد264 ، 2000م ،ص 60

[2]) يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر ،(ط5)، (د س)، ص 47

[3]) شريف الدين بن دودية ،اليوتوبيا والفلسفة:اليوتوبيا الدلالة والافاق ، مرجع سابق ،ص 30.

واقعه و مشكلاته ، و يعيش بمجامع نقسه مع الممثل ، يتألم لماسيه و يفرح لفرحه ، المثل تماما يحدث عندما يأسر الإنسان الإعجاب بممثلي الفكر السابقين فيعيش في إطار مصنفاتهم ويلف ويدور حول قضاياهم منفصلا عن واقعه و مستجداته[1].

4)أوهام السوق : و هي الناشئة من الألفاظ ويرى بيكون أنها أكثر الأوهام إثارة للإضطراب وقد سميت بأوهام السوق لأن الناس متى اجتمعت كما تجتمع في الأسواق لا تملك أداة للمناقشة وتبادل الأفكار سوى الألفاظ وما يتكون منها من قضايا . والألفاظ تتكون أصلا طبقا للحاجات العملية والتصورات العلمية ،ثم تسيطر بعد ذلك على تصوراتنا للأشياء. فإذا شئنا مثلا أن نصنف الأشياء اعترضتنا الألفاظ بتصنيفاتها المصنوعة من قبل ، والكثير من الألفاظ لها معاني مختلفة غامضة كما أن كثيرا منها قد وضع لأشياء لا وجود لها .[2]

تعتبر هذه المرحلة مهمة جدا في منجز الإحياء البيكوني العظيم ، حيث أن هذا الأخير أبرز نقاط ضعف العقل وحاول من خلال هذا المنهج أَنْ يُبَيِّن مخاطر الأحكام المسبقة التي يمكن أن يتقبلها العقل الموثوق فيه بشدة لذا يجب تنقية العقل البشري من تلك الأوهام حتى يتمكن فيما بعد من الانفتاح على الطبيعة دون أحكام مسبقة ، واستكمالا لهذا المشروع قدم فرانسيس بيكون المنهج الاستقرائي كبديل للمنطق الأرسطي النظري .

يدخل هذا العمل النقدي كما سبقت الإشارة إلى الإحياء العظيم الذي قام به فرانسيس بيكون ، وقد كان للسياسة نصيب ضمن هذا المشروع الكبير ، حمل هذا الجزء المختص بالسياسة اسم "**أطلنطس الجديدة** " و التي عرض فيها فرانسيس بيكون نموذجا لمعهد أو كلية هي التي أسماها **(بيت سليمان)** حيث يقوم العلماء بتفسير الطبيعة لصالح البشرية وكان يريد أن يمضي إلى وضع تشريع أو صياغة الشكل الأمثل

[1]) يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ،مرجع سابق ، ص66.

[2]) حبيب الشاروني ، فلسفة فرانسيس بيكون، مرجع سابق ، ص 58.

للدولة ، لكنه أدرك أن هذا العمل يحتاج إلى وقت طويل ، و أعتقد أنَّ معرفة الطبيعة أيسر وثمار هذه المعرفة اقرب ، فآثَرَ العمل في هذا المجال " [1]

يبدوا أن بيكون اسقط نظرته العلمية على نسقه الفكري والفلسفي، لتبدوا فلسفته بهذا النسق (التجريبي) ، وكذالك يوتوبياه ، بل يمكن القول أن تلك اليوتوبيا ليست سوى فلسفة آو عملا فلسفيا ، يدخل ضمن هذا الإحياء العظيم ، أو بالأحرى النقد العظيم ، لأن المتتبع لفلسفة بيكون سيلحظ نقده للفلسفة اليونانية وتحديدا الأرسطية ، وحتى مدينته الفاضلة جاءت كقلب للمدينة الفاضلة الأفلاطونية ،فسماها أطلنطس الجديدة مقارنة بأطلنطس التي تخيلها **افلاطون** و بينما كان حاكم الأولى فيلسوفا ، فان حاكم الثانية ، وكذلك الحال بالنسبة لـ الأرغانون الجديد ،فهو ليس سوى نقدا أو قلبا لأرغانون أرسطو.

[1]) حبيب الشاروني ، فلسفة فرانسيس بيكون، مرجع سابق ، ص 104 .

المبحث الثالث :واقع اليوتوبيا : جدلية النهاية والضرورة الإنسانية

اليوتوبيا إذن تنطلق من الواقع المحدود فالأمر الذي لا يتحقق واقعيا يتحقق يوتوبيا ويرجع هذا إلى أن الفعل اليوتوبي يتغذى على هذا الواقع المحدود ، لكن رغم هذا فإن اليوتوبيا تحاول تجاوز الواقع وهذا من اجل محاولة تغيره وتجاوزه ، ذلك أن من بين الدلالات التي يمكن أن تحملها اليوتوبيا هي "*أن معنى لفظ اليوتوبيا يقتصر على ذلك النمط من التوجه الذي يتسامى على الأمر الواقع ويحطم في الوقت نفسه حدود النظام القائم* "[1] و السبب في هذه المفارقة راجع للإنسان الذي يميل ويرغب في امتلاك الأشياء التي ليس بإمكانه الحصول عليها أو تلك غير الملازمة لوجوده أو التي يفتقر لها ، فهي إذن استجابة للمجتمع " فكل فترة في التاريخ تحتوي على أفكار تسمو على النظام "[2]، و من هذا المنطلق فأنه يمكن اعتبار اليوتوبيات ملاصقة و محايثة لتاريخ الأمم والشعوب فهي تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى زمن حسب احتياجات و متطلبات الإنسان في ذلك العصر .

قد تبدوا أحيانا وبشكل واضح اليوتوبيات كأدوات نقدية للواقع المعاش سواء اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا ، فاليوتوبيين في الغالب رافضون وناقمون على الوضع الراهن ، الذي لا يقبلون إلا بتغيره ، إذ يرى البعض أن *"النقد (متمثلا في اليوتوبيا) يحاول أن يتجاوز هفوات ما هو قائم وما فيه من تناقضات نحو العودة إليه عبر معالجة يوتوبية تقدم حلولا لا تتجاوز الفضاء الاجتماعي التداولي الذي ظهر فيه النص وعمل على إيجاد معالجة له ، مما يجعل من كل يوتوبية رهينة الإشكالية التي ظهرت في كنفها وعملت على إيجاد حلول لها"*[3] .

---

[1]) كارل منهايم ، الايدولوجيا و اليوتوبيا ، تر: محمد رجا الدريني ، شركة المكتبيات الكويتية ، الكويت ، (ط1)، 1980، ص247.

[2]) المرجع نفسه ، ص 247.

[3]) عامر عبد زيد ، اليوتوبيا والفلسفة :مقال تجليات اليوتوبيا بوصفها معيارا نقديا عند كامل شياع ، مرجع سابق ، ص 403 .

إن مسالة العمل في اليوتوبيا اليونانية ليست ذاتها في اليوتوبيا الحديثة مثلا ، "فالعمل اليدوي والحرفي في اليوتوبيا اليونانية (أفلاطون) كان يُعْتَبَرُ وضيعا وهو فقط للعبيد والحرفين والفلاحين "[1] في حين أن المفكرين والفلاسفة يهتمون بشؤون البلاد والسياسة والحكم ، غير أن هذه النظرة تغيرت مع اليوتوبيات الحديثة فالعمل في هذه اليوتوبيات ، غَدَا شيئا ضروريا بل *"يعتبر واجبا على كل المواطنين الذين يؤكدون أن الأعمال ، حتى أكثرها وضاعة ، جديرة بالتشريف و التكريم"* [2] فمن خلال هذه المقارنة البسيطة يتضح أن واقع العمل اليوتوبي متغير و ليس قاراً كما أنه نابع من المجتمع وراهنه .

لقد أسهمت اليوتوبيا في تحقيق العديد من الامتيازات في لحظات حضورها ، " فقد كان الكتاب اليوتوبيين ثورين عندما دافعوا عن مشاعية السلع في الوقت كانت تعد فيه الملكية الخاصة مقدسة ،(...) و كانوا ثوريين عندما دافعوا عن المساواة بين الرجل و المرأة في عصور كانت تعتبر فيها المرأة أفضل قليلا من العبيد و عن كرامة العمل اليدوي[3]، يقول **أناتول فرانس (Anatole France)** " لولا يوتوبيات العصور الأخرى ، لظل الناس يعيشون في الكهوف عرايا بؤساء ، إن اليوتوبيات هي التي رسمت خطوط المدنية الأولى ومن الأحلام السخية تأتي الوقائع النافعة . إن اليوتوبيا هي مبدأ كل تقدم .وهي محاولة بلوغ مستقبل أفضل"[4]

اليوتوبيا إذن و من خلال ما سبق لا تسعى إلى تفسير العالم بقدر ما تطمح لتغيره و هذا راجع لكونها متعلقة بالراهن والمستقبل لا بالماضي ، و إذا ما كانت قد التفتت للماضي ، فمن أجل الاستفادة من أخطاءه وتجاوزه هو الأخر. غير أن كل الامتيازات التي قدمتها اليوتوبيا طوال العصور الماضية لا تعني

---

[1]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 81

[2])المرجع نفسه ، ص 81

[3])المرجع نفسه ، ص 16

[4]) المرجع نفسه ، ص 5.

أنها سلمت من الآلة النقدية ، وهذا الكلام الأخير سيسمح لنا بمشروعية طرح التساؤل الأتي، ما هو واقع اليوتوبيا اليوم ؟ وهل يمكن التخلي عن الممارسة اليوتوبية ؟

ينظر لليوتوبيا على أن عصرها انقضى ، على اعتبار أن عصر الأطر قد ولى على حد تعبير **كارل بوبر**[1] (Karl Popper)الذي يقول : " عبر سنوات عديدة كنت أسوق الحجج ضد البدع العقلية الشائعة في العلم و الأكثر من هذا البدع العقلية الشائعة في الفلسفة .بشكل عام يكون المفكر ذو البدعة الشائعة سجين بدعته ، و أنا اعتبر الحرية من القيم العظمى التي يمكن أن تهبنا إياها الحياة "[2] ، فما يأخذ على اليوتوبيات أنها تعتبر نفسها نماذج يحتذي بها ، إلا أنها حسب العديد من نقادها اتسمت "بالشمولية و إلغاء الفردية و قهر الحرية في مجتمعات يفترض أنها مثالية (...) فاليوتوبيات وقعت في خطا فادح عندما تتوهم أنها تقدم لنا تصورات نهائية عن مجتمعات كاملة و منظمة بشكل آلي لأنها ستكون بتأكيد مجتمعات مغلقة وخانقة وخالية من نسمات الحرية "[3]

إن تلك القوانين الصارمة التي يتبناها اليوتوبيين في أعمالهم جعلتها ذات طابع تسلطي وغير متسامح ، فمثلا : أقصى **أفلاطون** الشعراء من جمهوريته ، و يوجد في يوتوبياه كما في يوتوبيا **مور** عبيد و رغم الجمالية التي تكتسي المدن اليوتوبية إلا أن بها اكبر سجن للإنسانية فهي تدعو للحرية وحرية الأفراد من جهة وتقوم بتقييد هذه الحرية من جهة أخرى ، يقول **ميكيافلي** :" بغرض الكتابة أشياء مفيدة لمن يقرأ لي ، بدا لي التوقف عند حقيقة الأشياء الأفضل من الاسترسال في تأملات غير مجدية ، لقد تخيل الكثير

---

[1]) كارل بوبر (1902.1994) : ولد" بوبر" في فينا بالنمسا وهذا في 28 يوليو 1902 م ، لقد كان بوبر مهتما بما يحدث حوله ففي مراهقته أمضى ثلاث أشهر ماركسيا ثم ما لبث أن تخلى عنها ، التحق بجامعة فينا عام1918 م ،وأصبح أستاذا في العلوم الطبيعية ،وقد برز بوبر للعالم من خلال كتابه الشهير" منطق الكشف العلمي" حيث ترجع أهمية هذا المؤلف إلى فكرته قابلية التكذيب، فكان "بوبر" بذلك ابرز فلاسفة العلم في القرن 20 لان أفكاره هي التي شكلت فلسفة العلم في هذا القرن ولازلت إلى اليوم تشكله ، فالعلم معه ينمو ويتقدم ويصحح أيضا ،ولا يضاف إلى صرحه شيء كما كان مع الوضعيين . (يمنى طريف الخولي ، فلسفة القرن العشرين ،(ص 320.321)

[2]) كارل بوبر ، أسطورة الإطار ، تر: يمنى طريف الخولي ، عالم المعرفة ،كويت ،(ط1) ،العدد 292، 2003، ص 2.

[3]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، نقلا عن مقدمة المترجمة :عطيات أبو السعود ،مرجع سابق، ص 9

جمهوريات و إمارات لم نر ولم نعرف مثيلا لها ، ولكن ما جدوى كل تلك التخيلات ؟ ثمة فرق شاسع بين الطريقة التي عليها نعيش و التي ينبغي أن نعيش عليها بحيث أن الاكتفاء بدراسة الأخيرة يعلمنا الهلاك أكثر مما يعلمنا المحافظة على أنفسنا[1].

إن عصر اليوتوبيات قد ولى وانقضى !! "هي دعوة شاعت لدى الأوساط الثقافية في خمسينيات القرن الماضي "[2] ضمن النداءات الداعية للقضاء على الأفكار الشمولية ، والحقيقة أن الدعوة لنهاية اليوتوبيا لم تكن بالأمر الجديد أو المستحدث فقد دعا لها قبل معارضها في الخمسينيات من القرن الماضي ، كارل ماركس "عندما تصور حدوث ثورة تؤدي إلى نهاية كل أشكال الاغتراب وبناء عالم حرر من الضغوط وسيطر على الضرورات ".[3]

وكذلك دعا **أوجست كونت** إلى نهاية اليوتوبيا وهذا أثناء محاولته تفسير الصراعات السائدة عي عصره ، فأرجعها إلى حركة التفكير والتي قسمها إلى ثلاثة مراحل وهي :

1. **المرحلة اللاهوتية** : و ترى هذه المرحلة إن مصير الإنسان محكوم بقوى سماوية "وقد بلغت الحالة اللاهوتية أوجها في الكثلكة التي تؤلف تأليفا عجيبا التفسيرات الفائقة للطبيعة ، في فكرة اله واحد مدبر للكل بإرادته ، فخصائص الحالة اللاهوتية هي أن موضوعها مطلق و تفسيرها فائق للطبيعة ، و منهجها خيالي "[4].

---

[1]) ماركس هوركايمر ، بدايات فلسفة التريخ البرجوازية ، تر: محمد على اليوسفي ، دار التنوير ، بيروت ، (د.ط)، 2006، ص ص 71.70.

[2]) عامر حسن و عماد احمد ، مستقبل الايدولوجيا اليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث ، مجلة العلوم السياسية ،العدد 43، ص 31.

[3]) المرجع السابق، ص31.

[4]) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق، ص 318 .

2. المرحلة الميتافيزيقية : و هي عصر النقد والتمرد التي توجتها الثورة الفرنسية [1] و يرمي العقل كذلك إلى استكناه صميم الأشياء و أصلها و مصيرها ، و لكنه يستبدل بالعلل المفارقة علل ذاتية [2] .

3. المرحلة العلمية : "و التي يمكن أن تطرح على التاريخ المعاصر حيث المعرفة عن الإنسان والطبيعة محل الجهل وأوهام العصور السابقة"[3]

لقد دعا **كونت** إلى نبذ الصراعات الفكرية و هذا من "خلال تطبيق القوانين العلمية لحل المشاكل الاجتماعية و بناء نظام يحقق الاستقرار في المجتمع ، فالمجتمع حسبه يعيش على التنظيم أكثر مما يعيش على إيديولوجيات [4] و يرى **بول ريكور** أن من سلبيات اليوتوبيا " أن لها سمعة سيئة . تبدو و كأنها تقدم نوعا من الحلم الاجتماعي دون أن تكترث بالخطوات الواقعية الضرورية الأولى للتحرك باتجاه مجتمع جديد. وغالبا ما تعامل الرؤية اليوتوبية كنوع من الموقف الفصامي تجاه المجتمع ، فهي في الوقت ذاته طريقة للهرب من منطق الفعل عبر تشكيلة خارج التاريخ ونوع من الاحتماء ضد أي إثبات للصحة عبر الفعل الملموس "[5].

غير أن من أبرز نقاد اليوتوبيا في العصر المعاصر هي **ماريا لويزا برنيري**[6] في كتابها المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، والتي تعرض من خلاله مجموعة من ابرز اليوتوبيات عبر التاريخ فنجدها تحلل وتقارن

---

[1]) عامر حسن و عماد احمد ، مستقبل الايدولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث ،مرجع سابق ، 32.

[2]) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ،ص 318.

[3]) عامر حسن وعماد احمد، مستقبل الايدولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث ، مرجع سابق ، ص 32.

[4]) مرجع نفسه ،ص32

[5]) بول ريكور ، محاضرات في اليوتوبيا والايدولوجيا ، تر: فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، (د.ط) ، 2002، ص48.

[6]) ماريا لويزا برنيري : ولدت مارينا في فلورنسا بايطاليا عام 1918م وبعد مولدها بثماني سنوات فرت مع عائلها الى فرنسا ، هربا من اضطهاد الفاشية الايطالية . وهناك قضت احد عشر عاما ، درست خلالها علم الطفل في جامعة السوربون وظهرت اهتماماتها بقضايا السياسة الاجتماعية ثم انتقلت إلى لندن التي عاشت فيها ومارست العمل الصحفي و الإذاعي و الصحفي حتى وفاتها المفاجئة عام 1949م. (مارينا لويزا برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 9)

وتنقد ما جاء في هذه اليوتوبيات ، و تقف المفكرة موقف المضاد من الممارسة اليوتوبية فتقول "*أن عصرنا هو عصر التسويات ، و الحلول الوسطى والسعي لجعل العالم أقل شرورا. والحالمون من أصحاب الرؤى أصبحوا موضع سخرية و احتقار و (الناس العمليون) هم الذين يحكمون حياتنا . لم نعد نبحث عن حلول جذرية لشرور المجتمع ، بل لإصلاحه و لم نعد نسعى لإلغاء الحروب بل لتجنبها فترة تمتد لسنوات قليلة إنما نكتفي بإصلاح القوانين الجنائية ، و لا نحاول إلغاء المجاعة ، بل نسعى لإنشاء مؤسسات خيرية عالمية على نطاق واسع . و عندما يعيش المرء في عصر ينشغل بكل ما هو عملي قابل للتحقق السريع ، فربما يكون من المفيد أن يلجأ إلى الأشخاص الذين حلموا بيوتوبيات ، و رفضوا أي شيء لا يتلاءم مع مثلهم الأعلى عن الكمال* "[1].

إن جملة الانتقادات الموجهة لليوتوبيا خصوصا أن هذه الانتقادات وليدة العصر المعاصر تجعلنا نتساءل حول مصير اليوتوبيا والفعل اليوتوبي ، هل انتهى عصر اليوتوبيا حقا ؟ ما الذي يمكن أن يفعله الإنسان المعاصر بانتهاء الاستخيال الذي يُمَكِن له على الأقل الهروب من الواقع المعاش المليء بالصراعات والحروب الطاحنة ؟

- **مصير اليوتوبيا**

توالت الحملات الداعية للتخلي عن الأفكار الشمولية ومحاولة تحجيم قيمة الممارسة اليوتوبية غير أن هذا لا يعني بتاتا أن اليوتوبيا عديمة الجدوى و لا طائل منها ، فحتى لدى مناهضي اليوتوبيا وناقديها تم رفض التخلي عنها بصورة نهائية ، على اعتبار أن التخلي عن اليوتوبيا هو تخلي الإنسان عن الحلم بما هو أفضل ، وقتل روح الإبداع فيه ، و من بين أبرز من تبنى الرفض النهائي لنهاية اليوتوبيا هو عالم

[1]) ماريا لويزا برنيريّ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 15 .

الاجتماع **كارل مانهايم**[1](Karl Mannheim) وهذا على الرغم من نقده لليوتوبيا ، يقول في هذا الصدد *" إن اختفاء اليوتوبيا سيخلق وضعا ساكنا جامدا لا يكون الإنسان فيه أكثر من شيء. وستواجهنا حينذاك أكبر ظاهرة متناقضة تخطر على البال : وهي أن الإنسان الذي فاز بأكبر سيطرة فكرية على الوجود ، يصبح ، حين يترك بلا مثل عليا ، مجرد مخلوق عشوائي انزوائي "*[2]

و يضيف قائلا " و هكذا ، بعد تطور مرير ولكنه بطولي ، و في لحظة وصوله إلى أعلى مراحل الوعي و الإدراك ، وحين يفقد التاريخ صفته كقدر أعمى و يتزايد كونه مخلوقا من صنع الإنسان ، في هذه اللحظات المجيدة ، إذا تخلى الإنسان عن اليوتوبيات ، فإنه يضيع إرادته في صنع التاريخ ، ويضيع معها قدرته على فهم التاريخ"[3].

يبدو أن مسالة الأمل ، الكامنة في كل يوتوبيا هي التي تجعل من التخلي عنها أمرا مستحيلا ، فلا يمكن البتة التخلي عنها ، يقول أوجست كونت : "ليست هناك يوتوبيا تبلغ من الشر حدا يمنعها من أن تقدم بعض المزايا المؤكدة" [4]

---

[1]) كارل مانهايم (1893–1947) عالم اجتماع يهودي من أصول هنغارية ألمانية ، له العديد من الكتب و الأبحاث أبرزها ، الايدولوجيا و اليوتوبيا و عناصر عقلانية و أخرى غير عقلانية في المجتمع المعاصر ، الإنسان و المجتمع في عصر إعادة البناء ، الحرية و السلطة و تخطيط الديمقراطي ، مقولات في علم الاجتماع و علم نفس اجتماعي .(كارل مانهايم ، الايدولوجيا و اليوتوبيا ، مرجع سابق ص 351)

[2]) كارل مانهايم ، الايدولوجيا و اليوتوبيا ، مرجع سابق ، ص 306

[3]) ، مرجع نفسه ، ص306

[4]) ماريا لويزا برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ،ص 5

ويقول **إميل سيوران** [1] (Emil Cioran) ناقدا الوجود الإنساني بدون ممارسة للفعل اليوتوبي:" *إننا لو وضعنا حدا لهذا الهذيان (اليوتوبيا) لتجمدنا تماما ، فنحن لا نتحرك تماما إلا منبهرين بالمستحيل. هذا يعني أن كل مجتمع عاجز عن إنتاج يوتوبيا وتكريس نفسه لها هو مجتمع يتهدده التيبس و الخراب ، توصي الحكمة التي لا يبهرها شيء بالسعادة المعطاة ، الموجودة ، لكن البشر يرفض هذا النوع من السعادة. هذا الرفض وحده يصنع منه حيوانا تاريخيا ، أعني هاويا من هواة السعادة المتخيلة* "[2].

يتضح من خلال ما سبق أنه على الرغم من أن اليوتوبيا جملة من الانتقادات إلا أنه لا يعني بإمكان العيش بدونها ، بل على العكس من ذلك ، حيث أن المجتمعات ستغدو متحجرة صلبة لا تطور ولا تقدم فيها وهذا يستلزم أن اليوتوبيا ضرورة يستحيل أن يتخلى عليها الجنس البشري فإذا ما كان الجنس هو السر في استمرارية البشر بيولوجيا ، فان اليوتوبيا الجانب النفسي الذي يمنحهم الدفعة و الآمل نحو هذه الاستمرارية .

[1]) إميل سيوران (1911–1995) ولد في قرية رازيناري , إحدى قرى ترانسيلفانيا الرومانية .نشأ في مناخ لا يمكن إلا أن يجذر لديه روح المفارقة التي طبعت كتاباته فيما بعد. فقد كان والده الطائفة الأرثوذكسية بالقرية، و كانت أمه لا تفي سوء ظنها بكل ما يتعلق بالدين و اللاهوت ,إلا أنه و بالرغم من عيشه تحت ظل هذا التناقض الغريب إلا أنه ظل يحمل عن طفولته انطباعاً فردوسيا, فقد عاش تلك الفترة على إيقاع الطبيعة متمليا الخضرة ومنصتا إلى حكاوى الرعاة. قام بتأليف 15 كتابا إلى جانب المخطوطات التي عثر عليها بعد وفاته.والتي من أبرزها المياه كلها بلون الغرق لو كان ادم سعيدا ، تأريخ ويوتوبيا (ادم فتحي نقلا عن المقدمة ، المياه كلها بلون الغرق ، لـ: إميل سيوران ، منشورات الجمل ،كولونيا– ألمانيا ، د ط، 2003 ، ص 9)

[2]) إميل سيوران ، تأريخ ويوتوبيا ، تر: آدم فتحي ، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، د.ط ، 2010، ص 120.

الفصل الثاني

المبحث الأول : الثورة على الميتافيزيقيا الكلاسيكية

لقد أعاد **نيتشه**[1] ترتيب القيم و ذلك من خلال عودة كنرولوجية جنيالوجية قيمية أي من وجهة نظره هو وليس كما حددتها التقسيمات الكلاسيكية ، فكيف كانت وجهة نظر نيتشه للفلسفة الكلاسيكية وعلى أي أساس قسمها ؟

[1]) ولد "فريديرك نيتشه"عام 1844م، في ساكسونيا- بروسيا ، كان ابنا لقس لوثري المذهب اسمه لودفيك توفي عام1849م في سن الشباب عن عمر يناهز 36سنة ، بعد إصابته بالجنون قبل ذلك بعام .لم يكن نيتشه قد تجاوز الخامسة من عمره عندما توفي والده ،لذلك انتقلت عائلته في العام الموالي إلى "نومبرج"، وكان نيتشه يحب الشعر والموسيقى ، كما لقب بالراعي الصغير ،حيث عاش مع أمه وأخته وجدته وعمتين .

و في سنة1858 في سن الرابعة عشر، ظفر نيتشه بمنحة دراسية للدراسة في مدرسة (بوفورتا pforta الشهيرة قرب مدينة نومبرج) ، و بعدها التحق بجامعة "بون" و هو في سن العشرين حيث تخصص في اللاهوت والفلولوجيا (التحليل الأدبي لنصوص الكلاسيكية) وفي عام 1865 ترك دراسة اللاهوت ،وبعدها استدعته جامعة بازل بما أنه طالب لامع و حاد الذكاء ليشتغل كرسي الأستاذية في موضوع الفيلولوجيا الكلاسيكية وهو في سن الرابعة والعشرين ، واستمر نيتشه في الدراسة في بازل من 1869-1879 واستمرت حياته المنتجة إلى سنة 1889 عندما انهار في تورين وهو يطوق حصانا بذراعيه ، ومنذ تلك الحادثة أصيب بالجنون ولم يستعد وعيه حتى توفي سنة 1900.

مصادر فكره : ومن أبرز المفكرين الذين تأثر بهم ما يلي :

اتجه نيتشه في دراساته الأولى في دراسة علم الفيلولوجيا اليونانية القديمة ، وهي تعنى بدراسة الحضارة اليونانية بكلها وخاصة فيما يتعلق بالأدب والفن واللغة والآثار ، والإنتاج الفكري عموما حتى ينفذ إلى النظرة الديونيزوسية إلى الحياة، وهذه النظرة أيضا قادته إلى شوبنهور الذي يعبر عن ظاهرة الألم في الحياة وهو مظهر يدعو إلى التشاؤم ومنها جاء نيتشه بفكرة إرادة الحياة، وكذلك تأثر نيتشه بجنر وهي النظرية التي من الفن عموما والموسيقى خاصة الوسيلة الوحيدة للخلاص في الحياة ومن الحياة ،وهي بذلك تصوير للإرادة الحياة وهي الوجود .

مؤلفاته : و من بينها :

- كتاب (ولادة المأساة إنطلاقا من روح الموسيقى) ، في هذا الكتاب يبرز أن القوى الأصيلة عند اليونان ، الأبولونية والديونيزية .
- كتاب(إنساني ، إنساني جدا) بجزئيه الأول والثاني ، وكتاب الفجر والعلم الجزل .
- كتاب (هكذا تكلم زرادشت)، (ما وراء الخير والشر) ،(إرادة القوة).
- كتاب (فجر اليوم) ،(الحكمة الفرحة). (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة ،لبنان،(ط3)، 2006، ص-ص677-679.

لقد سادت جملة من التقسيمات التي سبقت المحاولة النيتشاوية و التي سنأخذ منها على سبيل النمذجة تقسيم **هيغل**[1] و الذي يحددها على النحو الآتي :

1. **المرحلة الأولى** : مرحلة النشأة و التطور : تلك المرحلة التي تسبق سقراط ، و إن كانت لا تشمل السفسطائيين المعاصرين السابقين على سقراط [2].
2. **المرحلة الثانية:** مرحلة النضج والتقدم و هي المرحلة الممتدة من السفسطائية حتى أرسطو[3]
3. **المرحلة الثالثة** : مرحلة التقهقر و الذبول ، هذه المرحلة تبدأ بعد أرسطو و تشمل الأبيقورية و الرواقية والشكاك و تنتهي بالأفلاطونية المحدثة [4]

هذا هو التقسيم الهيغلي للفلسفة اليونانية ، و يشمل وهذا التقسيم القرن 6 ق.م إلى غاية القرن 3 م، غير أن هذا التقسيم الماثل أمامنا قد تم تجاوزه من قبل **نيتشه** الذي يرفض رفضا قاطعا هذا التقسيم ، وخصوصا مسألة " اعتبار المرحلة الممتدة من **طاليس** (Thales)[5] إلى غاية الطبيعيين المتأخرين ، فترة تحضير العقل الإغريقي لنفسه " [6] .

---

[1]) هيغل جورج فلهام فريديش : (1770م/1831م) فيلسوف ألماني مثالي، صاحب النظرية الشهيرة "فينومينولوجيا الروح"من أهم مؤلفاته فينومينولوجيا الروح ، علم المنطق، (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة،المرجع السابق، ص721.)

[2]) محمد جديدي ، الفلسفة الاغريقية ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ،(ط1)،2009، ص 91.

[3]) المرجع نفسه ،91.

[4]) المرجع نفسه ،91.

[5]) طاليس الملطي : يعد أول ممثل لأولئك الطبيعيين الذين ورثو تعاليم الشرق وتصوراته ، فاستخلصوا منها العلم ورسمو أول صورة للعالم متجردة من الدين والسحر ، كان أول من أدخل علم الهندسة من مصر إلى اليونان القديمة ، كما جاء بمعرفة أدوار الكسوف كما اعتمد على العقل وحده واستغنى عن الالهة كما يذكر لطاليس قياسه لحجم الهرم توفي عن عمر يناهز 87عاما حيث كانت وفاته مابين (548–554 ق،م) جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ،المرجع السابق ،ص414.

[6]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق ، ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ،(ط1) ،2010 ، **ص 101** .

يرى نيتشه أن ازدهار الفلسفة اليونانية يبدأ مع الفلاسفة الطبيعيين الأوائل وليست مع السفسطائيين و سقراط كما ساد الاعتقاد ، فقد سار نيتشه ضد هذا الاعتقاد و "أعلن أن المرحلة الثانية هي مرحلة الانحطاط والفساد و الانهيار [1].

نقم نيتشه كثيرا على سقراط و وصفه بالشيطان " **والمجرم المنحط** "[2] ، و إذا ما كان هيغل" قد جعل منه الأثيني الأعلى قيمة من المسيح الناصري فإن نيتشه قد أنزله إلى منزلة دون العبيد "[3].وسبب هذا الكره عائد إلى أن سقراط كان رمزا لبداية انحطاط الفلسفة اليونانية ، فبعدما كانت الفلسفة تقوم على التراجيدي أو ما يعرف **بالتراجيديا**[4] التي تمجد الحياة و تستمسك بها و **ارتباطها** بما هو **أسطوري** وشعري و موسيقي و فني . تم قلب المعادلة عندما قام كل من سقراط و يوربيديس " باستبدال الخصائص **الديونيسوسية**[5] و الموسيقى ب**الأبولونية**[6] و هي الحوار ، الذي يتأسس على المحاجة المنطقية و الاستدلال العقلي. و المعلوم أن الارتكاز على العقل بإفراط و قوة واستعماله بكثافة ، يؤدي إلى ضمور

---

[1]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والفلسفة ،المرجع نفسه ، ص 102.

[2]) فريدريك نيتشه ، أفول الأصنام ، تر: حسان بورقية ومحمد الناجي ، إفريقيا الشرق ، (ط1)، 1996، ص 19.

[3]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه و الإغريق، المرجع السابق ص 103.

[4]) التراجيديا (المأساة) tragodia : المعني اللغوي لهذه التسمية هو " أغنية العنز " وفقا لأرجح التفسيرات فإن سبب هذه التسمية يرجع أفراد الجوقة القديمة في الأناشيد الديثيرامبية التي نشأت منها التراجيديا كانوا يرتدون جلد الماعز علي أساس أنهم يمثلون دور الساتيروي أتباع الإله ديونيسوس .وكانت التراجيديا عبارة عن مسرحية ذات موضوع جاد ، ذي طابع حزين، يتعرض لأفعال البشر في صراعهم مع القوي التي تحيط بهم ، وتتحكم في مسار سلوكهم ، سواء كانت قوي خارجية مثل البشر أو الآلهة أم قوي داخلية مثل النوازع والأهواء . (محمد حمدي ابراهيم ، نظرية الدراما الاغريقية الشركة المصرية العالمية القاهرة مصر ،1994 ، ص ص 12.11).

[5]) الإله ديزينيوس : إله الخمر و المرح ، و الحياة الصاعدة و البهجة والسرور في العمل والفتنة والعواطف والاوهام والغريزة والمخاطرة الذي يصبر على الآلام ويتحمل المشاق بجرأة و بسالة ، إله الغناء و الرقص و الموسيقى و المسرحية (مثال الرجولة الفياضة) (ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ،ص 512)

[6]) الإله أبولو : وهو إله السلام و الراحة و السكون ، و فتنة العواطف والتأمل العقلي و النظام المنطقي و الهدوء الفلسفي إله التصوير والنحت والشعر الغنائي و يمثل أبولو مثال الأنوثة الوديع الهادئ (المرجع نفسه ، ص 512).

و تلاشي الإرادة و الإحساس كأقوى نازع للتصور التراجيدي"[1]. إن الفلسفة السقراطية قائمة على العقل لذا نجده يهمل ما هو عاطفي و وجداني و حسي ، لأن هذه الأسس الثلاثة لا يمكنها حسب رأيه الأخذ بيد الإنسان إلى الحقيقة ، "فسيادة منطق العقل هو الذي أدى إلى موت التراجيديا عن طريق قتلها بسبب الاعتقاد ، بإمكانية فهم العالم عن طريق الجدل و التفكير و البرهنة "[2].

يقول فريدريك نيتشه ناقدا الفلسفة اليونانية المتأخرة :"**المواضع الوحيدة التي تتألق فيها حياة الإغريق هي التي ينيرها شعاع الأسطورة ، أما المواضع الأخرى فهي معتمة** "[3] ، و ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن سقراط قد تخلى عن الأساطير اليونانية و تهكم عليها عندما رد مشككا على آراء **فايدوروس** حول صحة أسطورة اختطاف بورياس (الرياح الشمالية) لأوريثييا ابنة أريخيوس ملك أتيكا :" إن الحكيم يشك يا فايدروس ، و ما يجب علي أن أكون فريدا أن شككت مثل الحكماء أيضا . يمكنني أن أمتلك إيضاحا عقليا إن قلت أن أوريثيا كانت تلعب مع فاراماسيا عندما حملتها عاصفة الريح فوق الصخور المجاورة . و كون هذا سبب موتها ، قيل أن برورياس نقلها وأبعدها[4]. و يقصد "سقراط" أن ظروف موت "أوريثيا" هي التي شكلت الأسطورة ، التي لا يصدقها . و لم يتوقف نقد سقراط عند هذا الحد ، بل تطاول على الشعار و شعراء المأساة بوجه أخص ، يقول في حواره مع **كلوكون** .

"**سقراط** : لا تسرني سعادة واحدة من بين السعادات المتعددة التي أتصورها في نظام دولتنا ، حين التأمل فيها ، أفضل من قانون الشعر .

كلوكون : إلى ما تشير ؟

---

[1]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق، المرجع السابق ، ص 109.

[2]) المرجع نفسه، ص 110.

[3])فريديريك نيتشه ، إنساني مفرط في إنسانيته ، تر: محمد الناجي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ،(ط1)، (ج1)، 2002، 145.

[4]) أفلاطون ، المحاورات الكاملةّ : محاورة فايدروس ، تر: شوقي داود تمراز ، الأهلية للنشر والتوزيع ، المجلد الخامس ، بيروت. 1994 ، ص24 .

سقراط : إلى رفضنا أن نقبل نوع الشعر المقلد (...).

كلوكون : ماذا تعني ؟

سقراط : متكلما بكل ثقة ، انك لن تشهر بي إمام شعراء المأساة والقبيلة المقلدة الباقية ، أقول أن كل التقليد الشعري هو مخرب لفهم المستمعين. "[1].

قلل سقراط من قيمة الحواس والغرائز و الوجود ، أي " جعل معرفة الحقيقة بالعقل طبعا ، فضيلة وخيرا ، أما كل ما يأتي عن طريق الغريزة والحواس فهو خطأ ويجب اعتباره شرا "[2] وعلى هذا الأساس نقد نيتشه المعادلة السقراطية : "**عقـــل = فضـــيلة = سعـادة** " **تعني فقط ، يجب أن نفعل مثل سقراط** " [3]. بمعنى أن إتباع هذه المعادلة يعني لا تعني سوى إتباع سقراط و منهجه .

و إضافة لنقد سقراط فقد أخذ أفلاطون و الفلسفة اللاحقة له نصيبها من النقد ، و الحقيقة أن نقده لأفلاطون هو نقد لسقراط ،فنيتشه يقول عن أفلاطون :" ثمة شيء في أخلاق أفلاطون لا ينتمي إلى أفلاطون أصلا ، بل يصادف في فلسفته وحسب ، و يمكن القول ، رغما عن أفلاطون : أعني السقراطية التي كانت ، في الحقيقة ، دون نبله (لا أحد يريد أن يضر نفسه لذا يحصل كل سوء لا إراديا . ذلك أن السيء يضر نفسه : و لو عرف الفاعل أن السوء سيء لما فعل ذلك) "[4] فعلى *رغم كل فضائله ومزاياه الكثيرة والمتعددة ،فانه لم يبقى على أصله وطبيعته بل طرأ عليه تحول ، بل تغير نحو الأسوء ومصدر هذا التحول السلبي هو سقراط ،(..) مفسد الشباب*"[5].

---

[1]) أفلاطون ، المحاورات الكاملةّ : الجمهورية ، الكتاب العاشر ، ص 444.

[2]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق، مرجع سابق ، ص 113.

[3]) فريدريك نيتشه ، أفول الأصنام ، ص23.

[4]) فردريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ،تر: موسى وهبة ، دار الفرابي، لبنان ، (د ط)، (د س) ، ص 134.

[5]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق، مرجع سابق ، ص124.

لقد ساد الاعتقاد بأن أفلاطون هو الذي شكل فلسفة سقراط ، وقوله ما لم يقله وحرف صورته التاريخية ، في حين أن نيتشه يثبت أن العكس هو الذي حدث ، فأفلاطون في أصله يمثل الفيلسوف الهليني الأصلي النموذجي ، غير أنه فسد بين يدي سقراط[1].

إن أهم ميزة في فلسفة أفلاطون تتمثل في كتاباته وحواراته المتعددة ، والتي جاء اغلبها في شكل أسئلة تعقبها إجابات ، و كانت معظم هذه الأسئلة ، تتعلق بالماهيات ، "وهذا النوع من الأسئلة السقراطية الأفلاطونية ، يؤدي إلى الانفصال عن الواقع ، وقد عمل على إسقاطه و إلغائه ، فلا يهم في نظر نيتشه معرفة الخير والشر في ذاتهما أو جوهرهما (...) أن السؤال الحقيقي الذي يجب طرحه حسب نيتشه هو : ما هو هذا بالنسبة لي "[2].

أما ميزة الفلسفة الأفلاطونية الثانية هي قيامها على العقل والمثل ، ويشير مصطلح المثل لدى **أفلاطون** إلى " *الجوهر المعقول والخارج عن الزمان والموجود بذاته وغير قابل للفساد وباق كما هو أزلي وخارج عن الإحساس ولا يعرف إلا بالعقل* "[3] والحقائق كامنة في عالم المثل ، فالجمال مثلا لا يأتي في شكل امرأة جميلة مثلا ، إنما الجميل قابع في عالم المثل ، وما جمال تلك المرأة إلا جمال من درجة ثانية ، ومن هذا المنطلق فأن المصدر الأول للحقائق والمعارف هو العقل ، و أي مصدر آخر غير هذا يؤدي إلى الاضطراب ورجحان والاحتمالية في المعرفة ، مما يؤدي إلى غياب المطلقية والحقيقة. لذا نجد أن أفلاطون دعا إلى منع الشعر في جمهوريته ، " وبالأخص شعر **المأساة** لان الشعر بعيد كل البعد عن الحقيقة ، و الشعراء يقلدون دون معرفة الأشياء التي يقلدونها ، أقول أن كل التقليد الشعري هو مخرب

[1])عبد الكريم عنيات ، نيتشه و الأغريق، المرجع سابق، ص125.

[2]) مرجع نفسه، ص.ص 130.192.

[3]) محمد جديدي ، الفلسفة الإغريقية ، مرجع سابق ، ص 280.

لفهم المستمعين "[1]، و يعود رفض أفلاطون للشعر في جمهوريته ، لكونه بعيد عن عالم المثل ، فهو محاكاة من درجة ثالثة .

يرى نيتشه أن بهذه الفلسفة الأفلاطونية القائمة على المثل ، قد "وقفت في وجه أحسن صور الحضارة اليونانية "[2] وقد نسف نيتشه بهذه الفلسفة عندما قال على لسان زارادشت **أن الإله قد مات** قاصدا بذلك المثل الأفلاطونية .

ويعطف نيتشه في هذا الصدد قائلا : "أنا تلميذ للفيلسوف ديزنيزوس ، وكان بودي أيضا أن يتم اعتباري ' ستيرا' لا قديسا ،(...) ، وآخر شيء كنت اعد به هو إرادة جعل البشرية (أفضل) .إنا لا أقيم أصناما جديدة ،فلتعرف القديمة إذا كم يكلف أن تكون لها أقدام صلصالية !! إن قلب الأصنام – و أنا اسمي بهذا الاسم أي نوع من المثل – بات بالأحرى شغلي الشاغل . [3] فالمهمة التي سيقوم بها نيتشه في هذه الحالة ليست شيئا آخر سوى تحطيم هذه الأوثان ، المتمثلة في العقل والمثل العليا ، وكذا تحطيم رموزها الأبرز "سقراط" و "أفلاطون" .

و يرى نيتشه أن المثل العليا هي مجرد خدع وأكاذيب فيقول :" **لقد كانت أكذوبة المثال** حتى اليوم اللعنة المعلقة فوق واقع الأمر . و لفرط ما تشبعت البشرية بذات الأكذوبة ، تم تزيفها وتزويرها حتى في غرائزها الأشد عمقا وصولا إلى عبادة قيم معاكسة للقيم التي قد تضمن النمو ، والمستقبل ، والحق الأسمى بالمستقبل "[4] ، تلك هي الأسباب التي يبرر بها نيتشه لنفسه تحطيم الأوثان و الأصنام ، وكيف لا يبيد هذا الصنم الذي يعيق كل جميل في هذه الحياة ، والتي من بينها إعدام الفن و إخراجه من دائرة الحياة الإنسانية سوى لأنه لا يخضع للمطلقية و قوانين العقل و المثل ، وهاهو ذا نيتشه يشيد بإحدى صور

---

[1]) أفلاطون ، المحاورات الكاملةّ : محاورة فايدروس ، مصدر سابق ، ص 24.

[2])عبد الكريم عنيات ،.نيتشه والإغريق، مرجع سابق، ص 133

[3]) جيل دولوز ،نيـــتشهّ ،تر: أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،(ط1)، 1998، ص63.

[4]) جيل دولوز ، نيتشه ، المرجع السابق ، ص 23.

الفن قائلا :**كم تتوقف الحياة على القليل من الأشياء !! يقول صوت مزمار قربة ... دون الموسيقى تغدو الحياة خطا ، إن الألماني يتصور الإله نفسه يرتل الأناشيد ..**[1]

ولم يقف نقد نيتشه للفلسفة اليونانية بل طال فيما بعد الديانة المسيحية ، فنراه في أكثر من موضع يتهجم على المسيحية واصفا إياها بالعدمية ،ورافضا الدفاع عنها ، يقول نيتشه : لقد قامت (المسيحية) بحرب مستميتة ضد هذا النمط السامي من الإنسانية ، مبطلة كل الغرائز الأساسية ومن هذه الغرائز استنبطت ما هو شر[2] ويضيف في موضع آخر لقد انحازت المسيحية إلى كل ضعيف ومنحط وفاشل [3] لقد خلقت الحيوان الداجن ، حيوان القطيع ، الحيوان المريض المدعو إنسان – مسيحي[4] .

فالمسيحية في نظره كرست لـ أخلاق الضعفاء ، و أعدمت الحياة كليا بتعاليمها الدينية ، وذلك بتبنيها أخلاق الضعفاء وتخليها عن الحياة الحقيقية مقابل الحياة الزهدية وحياة الآخرة ، فالأخلاقي في المنظور المسيحي عامة مصدره الله، إضافة للأخلاق المثالية الأفلاطونية النابعة من المثل العليا (الأخلاق لذاتها) فالأخلاقيين المسيحيين "*سعوا إلى ربط القيمة الأخلاقية بالفعل الإرادي بوصفه الجزء الأساسي لها ، كما أنهم جمعوا في نفس الوقت ، تصورات الجمال والشرف لأفعال الانسانية الشريفة في تصور أكثر عمومية وشمولا ، يعني تصور الخير ، ثم ارجعوا مبدأ الخير إلى مبدأ مقارن يستحق الجدارة والثناء لذاته وبطريقة مطلقة (...) لقد نظروا إلى روح الرجل العادل و اعتبروها جميلة وجديرة بالتقدير ، لأنها فاضلة ولكن الفضيلة ذاتها لا تكون جديرة بالتفضيل إل أنها توجه الإنسان وتقوده نحو الله* "[5] .

ويتضح من هذا الكلام إن مصدر الأخلاق المسيحية الأساسي هو الله ، فالمشرع لها هو الخالق الذي

---

[1])) فريدريك نيتشه ، أفول الأصنام ،مصدر سابق ، شذرة 33 ، ص 14.

[2]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، تر: جورج مخائيل ديب، دار الحوار ، (ط2) ، ص 28.

[3]) المصدر نفسه ، ص 28.

[4]) المصدر نفسه ،ص26.

[5]) آيتين هنري جلسون ، روح الفلسفة المسيحية ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، مصر ،(ط3)، 1996 ، ص378.

يطلب الناس النجاة إليه ، إضافة إلى هذا فان للفلسفة اليونانية دورا في تشكيل الأخلاق المسيحية فالمثل و الأخلاق الأفلاطونية حاضرة ، و هذا عندما تبنت الفلسفة المسيحية فكرة الأخلاق لذاتها .

لقد نقد نيتشه الأخلاق المسيحية لكونها ،حاربت أخلاق النبلاء ، وليس هذا فحسب بل كرست لخلق أخلاق الضعفاء والعبيد انطلاقا من تعاليمها ونصوصها الدينية ، ففي العهد الجديد جاء ما يلي : *طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السماوات ، طوبى للحزانى،لأنهم يتعزون ، طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع والعِطاش إلى البر ، لأنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون ، طوبى للمدعوين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السماوات ، طوبى إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كلمة شريرة ، من اجلي ،كاذبين ، افرحوا وتهللوا لان اجركم عظيم في السماوات .*[1] ، إن ما يراه نيتشه من هذا الكلام ليس سوى اعتلالا في التفكير المسيحي و أنه دعوة للعدم ، فالمسيحية حسب رأيه لم تدعو لأخلاق الضعفاء و كفى إنما كرستها أيضا ، وجعلتها تسود على أخلاق الأنبال ، لذا نجده يقول : **يجب أن لا تزين المسيحية أو تجمل** [2] .

إن المسيحية في نظر نيتشه لم تكتف بتشجيعها لأخلاق العبيد فقط إنما ، أهملت الإنسان كجسد والغرائز واهتمامها بالجانب الروحي فقط. يقول نيتشه في هذا الصدد:"انه يتعين على **المستهزئين بالجسد** أن يغيروا أنماط تفكيرهم (..) ، يقول **طفل صغير : أنا جسد و روح !!** فلماذا لا يتكلم هؤلاء مثل الأطفال ؟ غير أن الإنسان الذي عرف ذاته يقول : إنا كليا جسد ، وما كلمة الروح إلا لتعبر عن هذا الجسد. [3]

---

[1]) متى ،الإصحاح الخامس (1-12).

[2]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر السابق ، ص28.

[3]) Friedrich Nietzsche , Ainsi parlait Zarathoustra , Traduction : Henri Albert , La Gaya Scienza , Paris , 2012 , p 50.

ولم تشفع إصلاحات "**مارتن لوثر** " بتغير رأي نيتشه في المسيحية إذ يرى أن البروتستانتية " **ليست سوى فالج نصفي في الديانة المسيحية وفي العقل أيضا** "[1] ، إن المسيحية هي دين الشفقة ، والشفقة في نظره تسير ضد قانون الانتخاب الطبيعي والتطور ، و تعطي حق الحياة لغير أهلها فتناضل من اجل الضعفاء و المحرومين ، لقد اجترئ (من جرأة) أن تدعى الشفقة فضيلة (وهي التي تعد في أيه أخلاق نبيلة ضعفا) ، و ذُهِب إلى أبعد من ذلك بإنشاء الفضيلة منها ، وجعلها الأرضية و الأصل لكل فضيلة. لكن فقط من خلال نظر الفيلسوف العدمي قد كتب فوق مجنه شعار إنكار الحياة. (..) شوبنهاور(Arthur Schopenhauer) بسببها كان إزاء هذا ، عبر الشفقة أنكر الحياة ومن خلالها جعلها أكثر مستحقية للحياة .[2] و مقصد نيتشه بهذا الكلام أن الشفقة قد أصبحت هي الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق ، فـ" شوبنهاور " معلمه الذي نهل منه كثيرا كان يتبنى فكرة الشفقة وجملها في ناظره ، يقول نيتشه في جينولوجيا الأخلاق : "كانت القضية تتعلق بنوع خاص ، بقيمة اللا أنانية بقيمة غرائز الشفقة و إنكار الذات والتفاني تلك الغرائز التي عمل شوبنهاور بذات على تجميلها في ناظري زمنا طويلا ، بعدما أَلَّهَهَا و ارتقى بها إلى مصاف الماورائيات ، إذ أنها بقيت بالنسبة إليه (قيما بذاتها) واعتمد عليها من أجل إنكار للحياة و لنفسه ، ولكنني كنت اشعر اتجاه نفسي بريبة اتجاه هذه الغرائز على وجه التحديد (...) و الواقع أنني كنت أرى فيها اكبر عقبة تنصب في وجه البشرية ، كنت ارى فيها الغواية والتضليل الأعظم الذي من شأنه أن يقود البشرية ...إلى أين ؟...إلى العدم !![3] لينهي نيتشه كلامه في موضع آخر بحكم على الشفقة قائلا : "الشفقة هي ممارسة العدمية "[4] .

---

[1]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر السابق ، ص 38.

[2]) المصدر نفسه ، ص 32.

[3])فريديريك نيتشه ، أصل الأخلاق وفصلها ،تر: حسن قبسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ،(د.ط)، (د.س)، ص 13.

[4]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر السابق ، ص 32.

لإيضاح تلك العدمية المتفشية في الدين و اللاهوت وحتى الممارسة المسيحية ، يعقد نيتشه مقارنة بين الدين المسيحي العدمي والدين الإسلامي الــداعي للحياة بفضـائلها الغرائزية فيقول :" **لقـد حرمتنا(أي المسيحية) من مجاني (ثمار) الحضارة القديمة ، و فيما بعد حرمتنا من ثمار الحضارة الإسلامية** "[1] ويقصد نيتشه بالحضارة القديمة ، الحضارة اليونانية والرومانية التي حرّمت المسيحية أوروبا من خيراتها المتمثلة في القوة و الإرادة و حب الحياة والفن . و ما زاد الطين بلّةً أنها حرمته مرة ثانية من فضائل الحضارة الإسلامية قاصدا بذلك حضارة الأندلس .

يقول نيتشه ممتعضا " إن العالم الغرائبي لحضارة العرب في إسبانيا ، والذي هو في الأساس أكثر قربا إلينا من روما واليونان ، و الذي يتناسب أكثر مع شعورنا و أذواقنا قد غمر ـ و لست أقول بأية أقدام ـ لماذا؟ لأنه ، صدر ، لأنه دان بمولده لغرائز **السقراطية**[2] ، لغرائز رجولية ، لأنه أكد الحياة بما فيه من الغنى النادر و المهذب للحياة الأندلسية . الصليبيون حاربوا في زمن آخر ضد أمر كان عليهم أن يرتموا أمامه فوق التراب "[3].

---

[1]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر سابق، ص 179.

[2]) الارستقراطية ARISTOCRATIE: الارستوقراطية حكومة طبقة إجتماعية معينة تمثل اقلية تمتاز علي غيرها من الطبقات بثقافتها ، أو فضائلها ، أو حقها الورائي . قال أفلاطون : يختلف اسم هدة الطبقة الحاكمة باختلاف طريقتها في ممارسة الحكم ، فإذا مارست الحكم في سبيل المصلحة العامة كانت ارستقراطية ، وإذا مارسته في سبيل مصالحها الخاصة كانت أوليغارشية . والارستقراطية ضد الديمقراطية لأن الاولي حكومة محدودة ، علي حين أن الثانية حكومة الشعب بالشعب وللشعب .ويطلق لفظ الارستقراطية أيضا علي كل طبقة اجتماعية تمتاز علي غيرها ببعض الصفات الخاصة ، تقول أرستقراطية المال ، و استقراطية العلم ، أو الفن الخ .(جميل صليبا : المعجم صليبا ،(ج1)، ص62،ص 63.)

[3]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر السابق ، ص .ص 180.179.

تلك هي إذن أسباب نقد نيتشه للمسيحية ، أولا: إحياؤُها للصنم المثالي الأفلاطوني فما المسيحية سوى **أفلاطونية سوقية معممة** [1] و ثانيا: تبنيها لأخلاق العبيد و إعدامها لأخلاق السادة ، و من هاذين العيبين السابقين خُلقت **العدمية**.

و مواصلة للمشروع النقدي النيتشاوي ، فقد طالت انتقاداته فلسفة الحداثة و العقلانية أيضا ، فهو قام بقلب العالم ، انطلاقا من نظرته القيمية للوجود و بهذا حاول تجاوز جل تلك الفلسفة الكلاسيكية (سواء الفلسفة اليونانية أو المسيحية أو الحداثة) ، وسنحاول نقد إحدى سمات الفلسفة العقلانية المتمثلة في فكرة المساواة التي دعت إليها الفلسفة العقلانية وفلسفة الحداثة وخصوصا ، الثورة الفرنسية بشعارها " الحرية و الأخوة و المساواة ". إضافة لنقده لعصر الأنوار و العقلانية يقول نيتشه : " **الأمر الذي يتضح يكف عن أن يهمنا – ماذا قصد ذاك الإله الذي نصح :(إعرف نفسك) !! أكان يعنيّ ، ياترى : (كف عن أن تهمك نفسك !! صر موضوعيا !!)** [2]

تقوم الفلسفة النيتشاوية على مبدأ التفاضل و التفاوت وهذا نتيجة لتأثره بكل من **داروين و باسمارك** ، فهو يرفض المساواة مثلا بين الأقوياء والضعفاء نتيجة لأنها تتعارض مع قانون التطور فالبقاء لـ الأقوى ،" و لأصلح ، عندئذ تكون القوة هي الفضيلة الأساسية ، والضعف هو النقيضة الوحيدة . الخير هو الذي يحيا ويظفر ، والشر هو الذي يستسلم ويفشل "[3] فالخير هو كل قوة والشر هو الضعف فعلى هذا الأساس يقول: **الشفقة في عمومها تتجرا على قانون التطور الذي هو قانون الانتخاب** [4] ، ومن هذا المنطلق يرفض نيتشه فكرة المساواة ، لأنها تختزل كل تلك الفروق فيستوي الأنبال مع من دونهم ، فمبدأ اللا تفاوت أنصاره فقط الضعفاء .

---

[1]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ،(ط1) ،2008، ص430.

[2]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، المصدر السابق ، ص. ص 103.102.

[3]) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق 504.

[4]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر السابق،ص 31.

و المساواة نوعان حسب ناقدها و يوضح هاذين النوعين بقوله:" فالحاجة إلى المساواة في محاولة المرء خفض الآخرين إلى مستواه (بالحط من قيمتهم ، بتجاهلهم ، بنصب الشرك لهم) ، أو محاولة الارتفاع إليهم (بإنصافهم ، بمساعدتهم ، بالاستمتاع بنجاحاتهم)[1] ، ففي الحالة الأولى يريد الضعيف أن يصبح الجميع ضعفاء فيحملون صفاته العدمية ، إما الحالة الثانية فهي مملوءة بالسماجة لأنه يريد أن يحمل صفات النبلاء و هو لا يستحقها .

إن المساواة والعدالة هي إحدى مخرجات الحداثة الغربية ، " و شأن الإيمان بها أن يؤدي إلى توحيد الناس و (تنميطهم) و (تسويتهم) و بالتالي يؤرث المؤالفة بينهم بدل الاختلاف و التسوية بدل البنيوية "[2] ، هذا ما أدى إلى إلغاء الفروقات الفردية بين الناس ، لكن نيتشه يرفض هذا المخرج الغربي الحديث قائلا : " إن المساواة بين الناس هي أكبر أكذوبة " [3] و ليس البدع في التفاوت بين البشر و إنما البدع الحقيقية في مساواتهم ، يقول نيتشه في هذا الصدد ، " **ليس الناس سواسية : كل اعلاء للطراز المسمى إنسانا كان حتى الآن وسيبقى أبدا من صنع مجتمع ارستقراطي ما ، بوصفه مجتمعا يؤمن بسلم طويل من المراتب و الفوارق القيمية بين إنسان و إنسان** "[4] فالإنسان الارستقراطي هو الذي يحق له أن يكون نبيلا كون آمن أول ما آمن بالتفاوت و الاختلاف.

يقول نيتشه ناقدا دعاة المساواة : " نحن متساوون و نعامل بعضنا كمتساوين : أعاملك بمثل ما تعاملني به ، إذا فهم يؤمنون حقا بمساواة الأعمال التي لا تظهر في العلاقات الواقعية .من المستحيل الرد على كل معاملة بمثلها : فما بين أفراد الحقيقين لا وجود لأعمال متماثلة وبالتالي ليس هناك 'مجازاة بالمثل ' ، إنني لا أفكر بتاتا ، حين أقوم بعمل ما بأن رجلا آخر يستطيع القيام بنفس العمل : فما أقوم به

[1]) فريدريك نيتشه ، انساني مفرط في انسانيته ،المصدر السابق ،ص 162، شذرة 300.
[2]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، مرجع سابق ، ص 67.
[3]) المرجع نفسه ، ص .68
[4]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ،المصدر السابق ، ص243.

يخصني أنا وحدي .. ولن يعاملني احد بمثله أبداً ، بل سيقوم في حقي بعمل (آخر)"[1] . هذا هو المثل الأعلى الارستقراطي في نظره .

هذه جملة من النقاط التي حاول نيتشه تشيظيتها في الفلسفة الكلاسيكية التي أعاد قلبها وترتيبها انطلاقا من نظرته القيمية للعالم ، و هي محاولة لهدم الفلسفة و التي أدت في نظره إلى تشييع العدمية و انتشارها ، فما العدمية سوى نتيجة لتلك الفلسفات التي ألغت الإنسان كغريزة وجسدت و نظرت له على أنه روح فقط ، و هذا ابتداء مع سقراط أول صنم مرورا بأفلاطون وصولا إلى المسيحية وريثة المثل الأفلاطونية ، انتهاءاً إلى الفلسفة العقلانية الداعية للعدالة والمساواة وتاليه العقل على حساب الجسد .

[1]) فريدريك نيتشه ، إرادة القوة ، تر: محمد ناجي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، (د.ط)، 2011، ص 339

المبحث الثاني: الميتافيزيقا المـضـادة

أثناء محاولة نيتشه نقد الفلسفة لكلاسيكية كان يؤسس لفلسفته الخاصة ، التي جاءت لكسر كل تلك القيم السائدة سلفا. فكانت له نظرة مغايرة للوجود ، حيث درسه دراسة قيمية ، فالمشروع النيتشاوي هو مشروع نقدي بالأساس ، أعاد من خلاله تشكيل العالم بوجهة نظر نيتشاوية ، يمكن اعتبار هذا المشروع فلسفة مُجَابهة للفلسفة و الميتافيزيقا الكلاسيكية فـ"بعد أن كانت الفلسفة مند أفلاطون إلى هيجل تنزع إلى غاية عليا و كلية، باحثة عن تجليات الحقيقة المطلقة بوصفها السلطة العليا بمنأى عن كل شك ونقد، تنحرف مع نيتشه عن تلك الماهية و الغاية لكي يجابه العقل الفلسفي، الوجه الآخر للعقل، بوصفه المرجع المعارض"[1]، فهو لم يكتف فقط بنقدها و إنما تأسس مشروعه النقدي هذا من أجل أن يحل محلها أيضا.

إن الخطاب الفلسفي الميتافيزيقي الكلاسيكي حسب فريدريك نيتشه " يتأسس على وحدة العقل والمعنى و الحقيقة ، التي هي في حقيقتها وحدة وهمية مفترضة "[2] و هذا الخطاب يضع نفسه بعيدا عن كل المساءلات و يعتبر نفسه نزيها لا تشوبه شائبة فيدعي المطلقية و الأحقية في فهم الوجود ، و من هنا انطلق نيتشه في محاولته لقلب القيم ، على اعتبار أن الميتافيزيقا إجمالا تقوم على مبحثي الأخلاق والقيم ، فتغيرت التصورات القديمة مع نيتشه ، فولى عهد فهم العالم أنطولوجيا و حل محله الفهم القيمي (الإكسيولوجي) و من هنا كانت نقطة انطلاقة نيتشه.

---

[1]) وفاء درسوني ، مفهوم التأويل في فلسفة نيتشه ،اشراف: جمال مفرج، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006/2005، ص 08.

[2]) محمد أندلسي ، نيتشه وسياسة الفلسفة ، دار توبقال ، المغرب ، (ط1)، 2006، ص 26 .

1. قلب الأخلاق

ينظر نيتشه للميتافيزيقا من وجهة نظر قيمية و أخلاقية ، ونلحظ ذلك من خلال فلسفته حيث لا تخلو جل أعماله من هذا الجانب ففي كتابه هو ذا الإنسان نجده يقول " إن آخر ما يمكن أن أعد به هو إصلاح البشرية . كما أني لن أشيد أصناما جديدة و ليعلم القدامى ما الذي يجلبه الانتصاب على قدمين من صلصال . **تحطيم الأصنام (هذه كلمي المفضلة للتعبير عن المثل)** ذلك أنه بمجرد أن ابتدعت أكذوبة عالم المثل قد تم تجريد الواقع من قيمته ومعناه وحقيقته " [1]. فأهم ما ينتقده نيتشه هو الأخلاق (الأخلاق المثالية) التي جاءت في شكل نسقي عقلاني و لاهوتي ثابت ، حيث يكون أساسها أما العقل و المثل أو اللاهوت ، و يعد المنطق من بين ما نقده نيتشه فهو يعرف على أنه آلة تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ والزلل حيث اعتبر و لقرون حاميا فعليا للفكر و قامت على أسسه الفلسفة الوسيطية و الحديثة ، غير أن "القراءة الجنيالوجية تبين أن المنطق متمركز حول مفهوم الذات ومشتقاتها من المفاهيم ، كالعقل و الجوهر والماهية والحقيقة والتمثل والعلية والغائية و الأصل وانه موجود أساسا ضد الاختلاف والتعدد والصيرورة و الحدث والرغبة أي ضد الحياة والوجود "[2] ، فنيتشه يرفض الثبات في مسألة الحقائق ، على اعتبار أن العالم متغير غير ثابت ، فالأشياء في صيرورة وتدفق دائم (العود الأبدي) ، و يؤكد هذا قائلا " *سيعود كل شيء في هذه الحياة بالتفصيل الدقيق مرة بعد مرة ، ومرات لا نهائية لها ، حتى نيتشه سوف يعود و ستعود ألمانيا ذات الدم و الحديد و الحرب ، و النار و الرماد ، (...) إن أشكال الحقيقة محدودة و لكن الزمان لا نهائي غير محدود* "[3] فلا حقائق ثابتة ونهائية .

---

[1]) فريدريك نيتشه ،هو ذا الإنسان ، تر:على مصباح ، منشورات الجمل ، ألمانيا – بغداد(د ط) ، (دس) ، ص8.

[2]) محمد أندلسي ، نيتشه وسياسة الفلسفة ، المرجع سابق ، 27.

[3]) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص. ص 523.522.

إن الأخلاق النيتشاوية ترفض أن يكون لها أساس مثالي وعقلاني أو ديني ، فهو يرفض الأخلاق الكانطية التي تعمل بمقتضى الواجب الأخلاقي النابع من الإرادة الخيرة ، التي أحالت الإنسان الأوروبي إلى العدمية ، فالخير أو الأخلاق الخيرة في نظره التي تتأتى عن قوة . و في هذا الصدد يقول نيتشه:

- **"ما هو الخير ؟**
- **أنه كل ما يربي الشعور بالقوة و إرادة القوة ، و القدرة ذاتها داخل الإنسان**
- **ما هو الشر ؟ انه ما يتأتى عن ضعف** "[1] ، و كأن لسان حاله يقول : ألا يمكن قلب كل القيم؟، فالخير ألا يكون هو الشر ؟ ألا يحتمل أن يكون كل شيء خطا؟.

و نجده يقف موقف المعادي للأخلاق الكانطية معتبرا أيها أذية قائلا : "كل فضيلة يجب أن ابتداعا شخصيا، و دفاعا ذاتيا عميقا وضروريا : و في أي اعتبار آخر فإنها تمثل خطرا . الذي لا يوائم حياتنا بضر بها : الفضيلة تتأتى فقط من الشعور بالاحترام تجاه فكرة الفضيلة ، كما أرادها كانط ، هي أذية "[2]. ذلك أن الأخلاق الكانطية خيرة في ذاتها . فهي تقصي ذاتية الإنسان وقراره و إرادته في ما إذا كان هذا الفعل خيرا أم شريرا ، فالذي يقرر الأخلاقي **(moralist)** و إلا أخلاقي(**A.moralist)** ليس هو نتائج الفعل و إنما هو الإنسان النبيل الارستقراطي ذلك لأن الإنسان النبيل يدرك ذاته ويقوم بأفعاله بمحض إرادته (إرادة القوة) و ليس الشيء نفسه أو المترتب عنه.

"إن الأخلاق هي الغريزة الناكرة للحياة ، لأن كافة القوى و الغرائز ، التي تجعل الحياة و النمو ممكنين ، أدانتها الأخلاق " [3] ، " فإصدار الأحكام الأخلاقية والإدانات الأخلاقية ، هو الانتقام المفضل الذي تمارسه النفوس المحدودة على من هم أقل محدودية منهم ، يجدون في ذلك نوعا من التعويض على أن

[1]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، المصدر السابق ، ص 25.

[2]) المصدر نفسه ، ص .ص.40.39.

[3]) أمزيان حسين، الإغريق و اليهود و الألمان في فلسفة نيتشه ،اشراف اسماعيل زروخي ، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2007/2006، (غير منشورة) ، ص 60.

الطبيعة لم تنصفهم ، و يعتبرونه في نهاية المطاف ، فرصة لاكتساب النباهة والترقي (..) يشعرون بأنهم سعداء حتى صميم القلب لوجود صعيد يتساوون عليه مع أولئك الذين استبغت عليهم نعم العقل و امتيازاته "[1] و يقصد بالأخلاق هنا هي الأخلاق المثالية والدينية الرافضة للغرائز و المنكرة لها ، ومن هنا دعا إلى سيادة أخلاق السادة لا أخلاق العبيد.

2. الجسد أساس للميتافيزيقا النيتشاوية

تتأسس الفلسفة النيتشاوية على مشروع جنيالوجي ، و من هذا المنطلق بدأ مشروعه القيمي أي تقييم التقييم " فالنقد يقوم على حركة مزدوجة ، إرجاع الظواهر و الأشياء إلى أصولها و مصادرها و تحديد قيمة تلك الأصول و المصادر . **فالجنيالوجيا** إذن هي منهج نقد القيم الأخلاقية من حيث أصلها ومشروعيتها "[2] وسمة الجنيالوجيا أنها تستحضر المنهج التاريخي غير أنها لا تدرس القيم من الناحية التاريخية و إنما تدرسها من أجل الحاضر ، أي قيمة الشيء من خلال تتبعه عبر التاريخ .

يؤكد نيتشه أثناء محاولة تفكيكه للميتافيزيقا الكلاسيكية أن الفلسفات السابقة قللت من قيمة الجسد بل و اعتبرته في أحيان عدة ليس سوى شيء عرضي ، كما أنها أهملت الغرائز البشرية ، غير أن " *الجسد في المنظور النيتشاوي ، يشكل نسقا من القوى توجد في علاقة مع قوى أخرى ، فهو حي ويمتلك القوة لتملك ما يوجد خارجه و إخضاعه من خلال ممارسة الإغراء عليه* "[3]. فيؤكد نيتشه أن الجسد في أساسه يعبر عن الإنسان كليا ، و أن مسالة اعتبار الإنسان روحا ، راجع للفلسفات المثالية والمنطق الذين هيمنا على اللغة (الدال والمدلول) ، *إن تأكيد نيتشه على أن القول الأولي للجسد قول استعاري ، يجعل من التقليد الميتافيزيقي عبارة عن قلب للوقائع عبر أحداث قلب في العملية المولدة للقيم . و ما*

[1]) فريدريك نيتشه ، ماوراء الخير والشر ، تر : حسان بورقية ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006، ص 131.
[2]) محمد أندلسي ، نيتشه وسياسة الفلسفة ، المرجع سابق ، ص 95.
[3]) المرجع نفسه، ص 182.

الجنيالوجيا سوى قلب للقلب ، أي إعادة توليد اللغة عبر تحويل الإثارات العصبية إلى إحساسات استعارية خاصة بكل جسد (..) و إذا كانت كل لغة هي بمثابة تجل استعاري للجسد حينئذ لا تقول الأشياء أو الحقيقة إنما تقول علاقة الإنسان بها "[1] ، و يؤكد نيتشه هذا التشويه الذي مارسته الفلسفة المثالية و الديانة المسيحية عندما اعتبرت الإنسان روحا و أهملت الجسد قائلا : " إن آلة جسدك إنما هي أداة عقلك الذي تدعوه ، روحا ، أيها الأخ أن هي إلا أداة صغيرة و ألعوبة صغيرة لعقلك العظيم . إنك تقول (أنا) وتنتفخ غرورا بهذه الكلمة ، غير أن هنالك ما هو أعظم منها ، شئت أن تصدق أم تشأ و هو جسدك و أداة تفكيرك العظمى ، و هذا الجسد لا يتبجح بكلمة أنا ، لأنه هو (أنا) هو مضمر الشخصية الظاهرة "[2] و خطابه هذا موجه للمستهزئين بالجسد و الغرائز الطبيعة الكامنة في الإنسان و بالخصوص الديانة المسيحية لذا نجده ينتقد الإنسان المسيحي واصفا إياه بـ " **أن ليس لديه جهاز عصبي لأنه يحتقر الجسد و الطريقة التعسفية في إسكات متطلباته** "[3] غير لائقة.

يدعو نيتشه إلى أن يحل الجسد و الغرائز محل الروح و العقل و هذا من أجل تجاوز الميتافيزيقا السابقة لتحل محلها ميتافيزيقا مضادة من بين أهم ما تقف عليه هو الجسد و هذا دون احتقاره أو النظر إليه بدونية و وضاعة كما فعلت المسيحية سابقا" **لقد نظرت المسيحية للجسد نظرة احتقار ، فلم يكونوا يأخذونه بعين الاعتبار بل كانوا ينظرون إليه كعدو. و غرابتهم تكمن في اعتقادهم أنه بإمكان المرء أن يحمل روحا طيبة في جسد مسخ ، جسد كجثة** " [4] فالمسيحية إضافة إلى إهمالها واحتقارها للجسد على

---

[1]) محمد أندلسي ، نيتشه وسياسة الفلسفة ، المرجع سابق ، ص 184.

[2]) فريدريك نيتشه ،هكذا تكلم زارادشت ، تر: فليكس فارس ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ،(ط 1) 2009 ، ص 54

[3]) فريدريك نيتشه ، إرادة القوة ، مصدر السابق ، ص 91.

[4]) المصدر نفسه ، ص 91.

حساب الروح ، فقد تطاولت على الغرائز الإنسانية الطبيعية التي هي من حق أي إنسان ، **لقد كان لك فيما مضى شهوات كنت تحسبها شرورا ، أما الآن فليس فيك إلا الفضائل من شهواتك نفسها .**[1]

لقد قلب نيتشه الميتافيزيقا الكلاسيكية فبعد أن كانت تتأسس على قواعد منطقية والمثل ومقولات مثل الروح و العقل و الأخلاق ، أصبحت تتأسس معه على مجموعة من المقولات الأخرى كالقيمة ، الجسد ، موت الإله ...الخ لذا نجده ينتقد تلك المنظومة النسقية المطلقة قائلا : " **إن عبارة أفول الأصنام تعني نهاية كل الحقائق القديمة** "[2] ويضيف قائلا ، " **ليس هنالك من حقيقة و لا اية مثاليات لم يلامسها هذا الكتاب (قاصدا كتاب أفول الأصنام)** "[3] ، و قد جاء في موضع آخر و بالتحديد كتاب هكذا تكلم **زارادشت** الذي يدعي فيه بأنه حطم مقولات الميتافيزيقا الكبرى وهي الإله قائلا : " **إن الإله قد مات** " (! *Dieu est mort*)[4]، وهذه العبارة لا تقصد بها فقط تحطيم الأوثان الدينية و إنما تتطاول أيضا على أوثان أخرى ، كالمثالية والعقلانية ...، و على هذا النحو تشكلت الميتافيزيقا المضادة النيتشاوية:

- تحطيم أساسيات الميتافيزيقا الكبرى : و التي من أهم مقولاتها الإله ، المثل ، المنطق ، الحقيقة ، الأخلاق
- إعادة بناء متافيزيقا جديدة : و التي تقوم على مقولات من قبيل القيمة ، الصيرورة ، إرادة القوة ، الجسد ، الغريزة .

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، مصدر سابق ، 57.

[2]) فريدريك نيتشه ، هذا هو الإنسان ، مصدر سابق ، ص30.

[3]) المصدر نفسه ، 30 .

[4])ibid.P 20.

المبحث الثالث : إرادة القوة أساس لليوتوبيا النيتشاوية

معلوم أنه من سمات الفكر هو التأثر والتأثير ، فأغلب الممارسات المعرفية ناتجة عن الفعلين السابقين إضافة إلى فاعلية المفكر نفسه ، و فيلسوفنا هذا ليس استثناءا فقد " تأثر بـ دوزينيوس وفن التراجيديا و ديموقريطس في نظرية الصيرورة ، إضافة إلى كل من داروين و بأسمارك في نظرية التطور وصولا إلى **شوبنهاور**[1] فيلسوف التشاؤم ومعلمه حيث أنه حصل على كتابه " العالم كإرادة وتمثل " و الذي وجد فيه على حد قوله : " أنه مرآة رأيت فيها العالم والحياة و الطبيعة و نفسي مصورة في عظمة مخيفة "[2] ، و يضيف قائلا عن هذا الكتاب : ((لقد بدا لي أن **شوبنهاور** كان يخاطبني شخصيا ويوجه كلامه لي ، فقد شعرت بحماسته وخيل لي أنه ماثلا أمامي فقد كان كل سطر في هذا الكتاب يناديني بصوت عال أن لا للاستسلام و الإنكار والتسليم))[3] لقد تأثر نيتشه بـ فكرة " الإرادة " حيث انتقد شوبنهاور الفلاسفة السابقين القائلين بفكرة الإنسان حيوان عاقل ، و إن المعارف معطيات عقلية ، حيث أن وراء *" العقل الواعي تقبع الإرادة الشعورية واللاشعورية ، و هي قوة حية ملحة جاهدة ، و هي نشاط ذاتي و إرادة رغبة مستمرة ، قد يبدو العقل موجها للإرادة و لكنه في هذه الحالة لا يكون إلا الدليل الذي يقود سيده "*[4] ،*هذه الإرادة تسير بها غاية و لا هدف* ، غير أنه وعلى الرغم من تأثره ب**شوبنهاور** إلا أنه انتقده في مسألة

---

[1]) آرثر شوبنهاور (1788-1860) ميتافيزيقي ألماني اشتهر بمقالاته اللاذعة وكتابه الرئيسي " العالم إرادة وتمثل " ولد في دانزج ، و كان أبوه من رجال الأعمال و كانت أمه كاتبة ، أمضى بعض الوقت في انجلترا فيما يتصل بأعمال أبيه ، وكان يقرأ الانجليزية و الفرنسية بسهولة ، و بعد وفاة والده كرس حياته للفلسفة تكريسا تاما ، ما دام في مستطاعه أن يعيش في رغد على ميراثه ، و لم يكن في مقدوره العيش مع أمه على وفاق ، كما كانت له خبرات تعسة مع النساء ، التحق بجامعة برلين وفشل في الحياة الجامعية والسبب هو انه أراد أن يلقى محاضراته بالتزامن مع إلقاء هيجل لمحاضراته ، و كان هذا الأخير ذائع الصيت في ذلك الوقت مما أدى إلى فضِّ الطلاب واتجاههم إلى هيجل مما جعله يشن هجوماته على كل من هيجل و شلينج و فيخته زاعما بأنهم ثرثارون . تعد فكرة الإرادة من أبرز الأفكار التي جاء بها شوبنهاور حيث زادت هذه الفكرة باهتمام الفلاسفة الذين بعده بفكرة اللامعقول واللاشعور و الذين من أبرزهم كيركجارد ونيتشه و فرويد (فؤاد كامل و آخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم ، لبنان ، (د .ط) ، (د .ت) (ص.ص 273.274)

[2]) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع السابق ، ص 508.

[3]) المرجع نفسه ، ص 509.

[4]) وفيق عزيزي ، شوبنهاور و فلسفة التشاؤم ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، (ط1)،2008،ص 111

الإرادة ، فعلى الرغم من أن **شوبنهاور** يربط فكرة الإرادة بالجسد فهو يقول " **أن الجسم في مجمله ليس شيئا آخر سوى الإرادة متجسدة** "[1] فـ "*ليس عمل الإرادة و الجسد شيئين مختلفين معروفين معرفة موضوعية توحد بينهما رابط السببية ، إذ ليست علاقة كليهما بالآخر علاقة العلة بالمعلول ، فكلاهما واحد بل نفس الشيء* "[2] ، غير أن ما يدعو له شوبنهاور هو إرادة الحياة بينما يدعو نيتشه إلى إرادة القوة.

يعتقد شوبنهاور أن إرادة الحياة " *دافع غامض نتعذر معرفته ، كما أنَّه يظهر في الطبيعة بأسرها (..) فهو يعتقد أن طبيعة الإرادة الجوهرية تفتقر إلى الغاية و الهدف ، فهي نزاع لا يقف عند نهاية ما فالنزاع المستمر هو طابعها المميز الفريد* "[3] ، غير أن نيتشه يرفض فكرة إرادة الحياة مستبدلا أيها بإرادة القوة فقد انتقده قائلا : ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة ، لان مثل هذه الإرادة لا وجود لها و ليس للعدم إرادة (..) إن ما أدعو إليه هو إرادة القوة لا إرادة الحياة "[4] على اعتبار أن الأخيرة تنفي الحياة .

أن مقولة إرادة القوة مفهوم جوهري في الفلسفة النيتشاوية ، بل إن فلسفته في مجملها ترد إلى هذا المفهوم ، و يؤكد نيتشه أنَّه ليس كل قوة هي إرادة قوة إذ يؤكد **دولوز (gilles Deleuze)**"[5] إن كل قوة لا تفهم

---

[1]) آرثر شوبنهاور ، العالم كإرادة وتمثل، تر: سعيد توفيق ،المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، (ط1)، 2006، ص 194

[2]) وفيق عزيزي ، شوبنهاور و فلسفة التشاؤم ، المرجع السابق ، ص113.

[3]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د.ط)، 1999، ص 273.

[4]) المرجع نفسه ، ص 273.

[5]) جيل دولوز : ولد دولوز في 1925، ثم التحق (بالليسيه كارنو) في باريس ثم درس الفلسفة في جامعة السوربون بين 1944و1948، تحصل على شهادة التأهيل في الفلسفة عام 1948،درّس دولوز الفلسفة في عدة كليات حتى عام 1957.ومن عام 1957حتى 1960م درّس تاريخ الفلسفة في السوربون ،ولمدة أربع سنوات ابتداء من عام 1960م عمل باحثا في المركز القومي للبحث العلمي.ومن عام 1964إلى 1969م درّس دولوز في جامعة ليون. في عام1969م تم تعيينه أستاذا للفلسفة في جامعة فنسان بتوصية من ميشال فوكو.في عام 1969م أيضا ناقش دولوز أطروحته الكبرى الاختلاف والتكرار وأطروحته الصغرى سبينوزا ومشكلة التعبير.تقاعد من التدريس عام 1987م. (جون ليتشه ، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، تر: فاتن البستاني ، المنظمة العبية للترجمة ، لبنان ، (ط1) ، 2008، ص 214.

إلا من خلال استعمالها ضد قوة أخرى ، و إثباتها وقتالها ضدها "[1] . إن هذا المبدأ هو سر الحياة بل إن مبد إرادة القوة هو جوهر الحياة نفسها.

لقد بدا معالم هذه النظرية بالتبلور في فكره وامتلاكه نتيجة لتطوعه لخدمة بلاده، "لكن بسبب الإصابة اضطر قائد فرقته إلى تسريحه والاستغناء عنه "[2]. وقد ساهمت مشاهدته لأهوال الحرب والقتال وما يتعرض له الجنود من إصابات إلى تجميل فكرة القوة وإرادة القوة في نظره ، خصوصا انه كان يفتقد للقوة . يقول نيتشه مخاطبا أخته : " *شعرت لأول مرة في حياتي يا أختي العزيزة ، إن إرادة الحياة القوية السامية لا تجد تعبيرا في صراع تعس من أجل الوجود ، ولكنها تجده في إرادة الحرب ، إرادة القوة ، إرادة القوة العليا*".[3]

لقد جعل نيتشه من مبدأ إرادة القوة معيارا يشمل كل النشاط الإنساني ، سواء أخلاقيا أو عسكريا أو سياسيا ، بل حتى الفلسفة عينها (فلسفته بوجه اخص) تستند إلى مبدأ إرادة القوة ." *فقد حاول بهذا المبدأ أن يصوغ بها القديم في قالب جديد . أي أن مبدأ إرادة القوة هو المقياس الذي حاول بواسطته قلب القيم و الفلسفة ، ومن هنا أصبحت فلسفته مبنية على إرادة القوة . يقول نيتشه في كتابه ما وراء الخير و الشر :*

" **ما السعادة ؟**

الشعور بأن القوة تتنامى ، و أن المقاومة تتجاوز ، ليس إنها رضى ، بل قوة أزود ، ليس السلام و لا بأية طريقة أخرى ، لكنما الحرب ، لا الفضيلة بل الكفاءة ".[4]

---

[1]) بيير مونتيبيلو ، نيتشه و إرادة القوة ، تر : جمال مفرج ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،(ط)1، 2010. ص . ص .103.102

[2]) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 112.

[3]) محمد عبد المعز نصر ، فلسفة السياسية عند الألمان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ط) ، 1982،ص 114

[4]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير و الشر ، مصدر سابق ، 25.

لقد سبقت الإشارة إلى إن الممارسة اليوتوبية هي ممارسة فلسفية ، فالفلاسفة اليوتوبيين يسقطون أفكارهم وفلسفاتهم على ، يوتوبياهم ، و ليست الفلسفة و اليوتوبيا النيتشاوية استثناءا من هذا ، فمبدأ إرادة القوة ، تقاطع مع كل الأفكار التي دعا إليها نيتشه ، سواء السياسية أو الأخلاقية أو حتى الاجتماعية منها فهو يرفض أخلاق الضعفاء يستبدلها بأخلاق الارستقراطيين ، و يدعو اجتماعيا إلى البحث عن الإنسان الأسمى **(السوبرمان)** فهو يكره مجتمع القطيع ." *فالإنسان الأعلى اصطلاحا عنى به نيتشه ضربا من الطراز البشري اعتدلت طبيعته ، و استكملت قوته* "[1] جاء هذا الإنسان كندٍ للإنسان المثالي والخير والعادي ، هذا الإنسان الذي يسعى نيتشه من خلال فلسفته المضادة الوصول إليه ، متجاوزا به العدمية الأوروبية . أنه الإنسان الذي تشتمل فيه كل صفات القوة و النبالة والشجاعة ، صاحب البنية القوية و النسل الأصيل النبيل .

هنا تقبع إرادة القوة متجسدة في الإنسان الأعلى ، و مكتملة فيه أيضا ، السوبرمان بوصفها "**يوتوبيا**" نيتشاوية ، حاولت أن تتجاوز المثاليات و الأصنام القديمة فشكلت صنما جديدا يدعى الإنسان الأعلى .

[1]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 657.

الفصل الثالث

المبحث الاول : القيم و التراتب

توصف الفلسفة النيتشاوية بأنها مطرقة ، و في أحيان أخرى بأنها " حزمة ديناميت أو برميل بارود"[1] ، و هذا راجع إلى أن نيتشه وقف موقف نقد أمام جُل المعطيات التاريخية للفلسفة و أعاد ترتيبها حسب وجهة نظره ، وجهة نظرٍ تراتبية يعتبرها قضيته وقضية العقول الحرة يقول نيتشه : " هذه قضية جديدة !! هذا سلم طويل كنا نحن من شغل درجاته و ارتقاءها و قد كنا نحن ذلك السلم لحظة ما. هذا أعلانا هذا أدنانا ، هذا أسفلنا ، هذا تدرج هائل الطول ، **هذه هي التراتبية التي نراها إنها قضيتنا** "[2].

إن المشروع النيتشاوي بمعناه العام يقوم على إدخال مفهومين اثنين إلى الفلسفة و هما مفهوم المعنى و مفهوم القيمة ، حسب جيل دولوز " فنيتشه لم يُخْفِ يوما أن فلسفة المعنى والقيمة يجب أن تكون نقدية ، و أحد الحوافز الرئيسة لعمل نيتشه هو كون كانط لم يقم بالنقد الحقيقي لأنه لم يعرف أن يطرح مشكلته بـ تعابير القيم".[3]

إن الهدف من هذه المحاولة الجديدة أو الطَرقُ النيتشاوي هو " الكشف عن التفاضلات القيمية بمستوياتها ، و درجاتها العليا و الدنيا ، سواء أكان ذلك على صعيد الانطولوجيا وفوارقها في مراتب **الوجود** ، أم في مسالك **الأخلاق** و أحكامها القيمية حول الفعل الإنساني تحسينا و تقبيحا "[4] . وبمعنى آخر فأن ما قام به نيتشه هو **ثورة** على الفلسفة الكلاسيكية ، بداً من المرحلة السقراطية مرورا بفلسفة العصور الوسطى المسيحية و إنتهاءا بالفلسفة العقلانية و الوضعانية الحديثة التي ورثت كل ذلك الكم الهائل من الهرطقات المتمثلة في : المثل و الروح و الله و الدين و أخلاق الضعف التي أورثت الإنسان

[1])عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق ، المرجع السابق، ص 103.

[2])فريدريك نيتشه ، انساني مفرط في انسانيته ، مصدر سابق ،ج1 ، شذرة 7 ، ص 15 .

[3])جيل دولوز ، نيتشه والفلسفة ، تر: أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ،(ط1)، 199، ص 5.

[4]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ،منشورات الإختلاف ، الجزائر ، (ط1) ، 2010، ص. ص 44.43.

الأخير العدمية السلبية ، هذه الثورة لامست المباحث الفلسفية المتمثلة في المعرفة و الوجود و القيم . فبعدما كان " البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب به لذاته "[1] أصبح مرتبطا بقيمته .و هنا تكمن أهمية فلسفة نيتشه ، في قلب القيم !!

تناول نيتشه في معظم كتبه مسألة نظرية القيمة ، وذلك من خلال محاولته إعادة ترتيبها وقد جاء السؤال الجنيالوجي الإستشكالي في كتابه جنيالوجيا الأخلاق قائلا :" **كان لا بد أن يتوقف فضولي و ظني في الوقت المناسب عند هذا السؤال : أيُ أصل هو في الحقيقة أصل الخير والشر لدينا ؟** [2] هذا السؤال الذي قال عنه أنه راوده في سن الثالثة عشر من العمر.

يرى نيتشه أن مسألة القيم غير ثابتة ذلك راجع حسبه إلى أن واضع القيم لـ الأشياء هو الإنسان *" فقد نظر نيتشه لـ الإنسان من حيث هو كائن* ***مقوم للوجود*** *، و تفطن إليه من حيث هو كائن شأنه أنه* ***منتج للقيم*** *، يعني اعتباره من حيث هو الكائن الذي شأنه أن يمنح للوجود قيما معينة إيجابية كانت أو سلبية ، في ضوء حاجاته و منازعاته و غرائزه "* [3] ففي نظر نيتشه الإنسان هو الذي يهب للعالم والوجود قيمته و ليس العكس ، و هذا ما رآه في كتابه هكذا تكلم زارادشت : " لقد أقام الناس الخير والشر فابتدعوهما لأنفسهم ، و ما اكتشفوهما و لا أنزلا عليهم من بهاتف السماء ، لقد وضع الانسان للأمور أقدارها ليحافظ على نفسه ، فهو الذي أوجد للأشياء معانيها الإنسانية . ما الكنوز والجواهر ألا أشياء أرادها تقديركم جواهر و كنوزا، فما القيمة إلا اعتبار، و لولا التقدير لما كان الوجود إلا قشورا لا نواة فيها اسمعوا أيها الموجودون إن قيمة الأشياء تتغير تبعا لتحول اعتبار المُوجِد و لا بد لهذا الموجد من أن يهدم

---

[1]) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، المرجع السابق ص 214 .

[2]) فريدريك نيتشه ،جنيالوجيا الأخلاق تر: فتحي المسكيني ، دار سيناترا ، تونس ،(ط1)، 2010، (تصدير شذرة 3) ص33 .

[3]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، المرجع سابق ، ص 283

في كل حين "[1] فـ الموجِد لـ الأشياء قيمتها و الذي يضفي عليها معنى هو الانسان " فالإنسان سمي إنسانا لأنه قوم الأشياء و قدر قيمتها و وزنها و وضع لها ثمنا : فهذا أمر رفيع وهذا و ذاك شأن حقير ، فهو الكائن الذي أقام لأشياء قدرها و وزنها "[2] و عملية الوهب هذه متغيرة مادام الإنسان واضعها لأنه يتطور (من مرحلة الطفولة إلى الشباب و الكهولة و الشيخوخة) و كذلك بـ العودة إلى مسألة الجنس (ذكر و أنثى) ثم مسألة التطور التاريخي .

إن الهم الذي تحمله الفلسفة النيتشاوية هو إعادة ترتيب القيم ، فنيتشه صاحب فلسفة نقدية " تهدف إلى إعادة النظر في جميع القيم السائدة في الثقافة الغربية الحديثة ، كما يطرح تساؤلات عن أصل الأحكام و القيم الأخلاقية ، مثل الخير و الشر ، وعن الظروف التي يبتدعها الانسان فيها ، وعما تخفيه في حقيقتها ، ذلك أن قراءة نيتشه الجنيالوجية التي يتبعها نيتشه لا تتبع منظورا خطيا ، (...) إنما هي قراءة شائكة وسيئة الظن ، قراءة تمارس أسلوب الكشف و الفضح و التعرية " [3] ، هذا الفعل الأخير موجه صوب الفلسفة الكلاسيكية و رؤيتها للعالم ، فالذي قام به نيتشه هو " خلخلة في تراتب مباحث الفلسفة الكلاسيكية و ذلك بانتقال من التراتب المعهود (الوجود أولا ، فالمعرفة ثم القيم) إلى تراتب مستجد(القيم أولا فالمعرفة ثم الوجود) "[4] ، لكن كيف تم الانتقال من المعطى الكلاسيكي إلى المعطى النيتشاوي ؟

إن العمل الذي قام به نيتشه هو ربط الوجود بـ القيمة ، حيث أصبح " السؤال الأنطولوجي تابعا للسؤال الإكسيولوجي " [5] فهو لم يقم بالبحث في مسألة الوجود كـ أنطولوجي ، و إنما نظر لها من وجه

---

[1])فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص.ص 79.78.

[2]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 291.

[3]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 55.

[4]) محمد الشيخ ، نقد نيتشه للحداثة ، مرجع سابق ، ص 285.

[5]) محمد الشيخ ، نقد نيتشه للحداثة ، مرجع نفسه، ص 284

نظر إكسيولوجية قيمية ، محاولا ، بل لنقل متجاوزا الفلاسفة الكلاسيكيين الذين أولوا الاهتمام بـ المبحث الأنطولوجي و أعطوه نصيب الأسد من الاهتمام .

إن مسالة القيم هي المسألة الأكبر في الفلسفة النيتشاوية ذلك أنه لم يكتفِ بالقلبِ السابق فقط . بل تجاوزه إلى قلب داخل منظومة أو مملكة القيم نفسها فقد تم الانتقال داخل هذه المنظومة من (الحق والخير والجمال) إلى جعل عنصر الجمال هو المركز الذي تتقاد له العناصر الأخرى ، فقد قام بربط كل من مبحث المنطق ومبحث الاخلاق بمبحث الجمال ، " حيث ان الفلسفة برمتها قامت على **القيم** و أدار هذه على الجمال فجعل آخر مباحث الفلسفة(الجمال) أولها و مركزها وثقلها " [1] فالذي يمكن أن نخلص له من خلال هذا الكلام هو ان الإكسيولوجيا أو نظرية القيم هي تجاوز للميتافيزيقا و مبادئها .

لقد ربط نيتشه القيم بإنسان كونه هو من يضفي عليها المعنى ، و انطلاقا من هذا تصبح عملية تراتب القيم متغيرة غير قارة ، يرى جيل دولوز أن لمصطلح التراتب معنيان فهو أحيانا يحمل معنى : " الفرق بين القوى الفاعلة والقوى الإرتكاسية وأحيانا تحمل دلالة أخرى و هي تفوق القوى الفاعلة على القوى الإرتكاسية " [2] فبمعناه الأول يحمل التراتب دلالة و معنى التميز أو الاختلاف بين شيئين في حين أن المعنى الثاني يقر بوجود تفاضل بين ما يسمى بالقوى . غير أن ما يراه دولوز هو أن التراتب قد يدل على " انتصار القوى الإرتكاسية على عدوى القوى الإرتكاسية و التنظيم المعقد الذي يلي ذلك حيث انتصر الضعفاء ، وأصيب الأقوياء بالعدوى "[3]. فـ كرونولوجيا وعلى سبيل المثال كانت أخلاق العبيد حسب التعبير النيتشاوي هي السائدة و ليست إرتكاسية لكونها كانت تحكم المجتمع (الأخلاق المسيحية مثلا) غير أن القلب النيتشاوي للقيم جعله يسائل القيم الأخلاقية بوجه عام و بـ الأخص

[1]) محمد شيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 285.

[2]) جيل دولوز ، نيتشه والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 79.

[3])) جيل دولوز ، نيتشه والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 79

المسيحية منها يقول نيتشه في كتابه إرادة القوة متسائلا بصيغة التهكم على القيم السائدة العدمية : " الكارثة : أليس الكذب شيئا ربانيا ؟ ألا تمكن قيمة الأشياء كلها في كونها باطلة ؟ ألا يجب الإيمان بالله ، ليس لأنه حق ، بل لأنه باطل ..؟ أليس اليأس سوى نتيجة للإيمان بالحقيقة الإلهية ؟ ألا يحل الكذب و التزيف محل المعنى الباطل الذي ينتج عنه قيمة ومعنى؟[1] . و على هذا الأساس كانت نظرة نيتشه للقيم بعيدة كل البعد عن الحياد الإكسيولوجي ، " إنما كان بحثه بحث الناظر في القيم من أجل قلبها و ذلك بوصفها قيما أفلاطونية ـ مسيحية أفضت إلى العدمية " [2].

إن ما حاول نيتشه طرحه من خلال نظرية القيمة هو إعادة النظر في مسألة القيم و التي من بينها الأخلاق فالأخلاق تعبر عن نظرية التراتب بين البشر اذْ *" يطرح نيتشه ثلاث تصورات متكاملة تؤدي بعضها إلى بعض و يقود : ((التأريخ للقيم)) و ((نقد القيم)) و((قلب القيم)) ، فالتأريخ ، بما هو مدرسة المقارنة و التميز ، إنما يقود لنقد القيم و النقد إنما يقوم إلى القلب "* [3] و قد نقد نيتشه في كتابه ((أصل الأخلاق و فصلها)) الفلاسفة الإنجليز الذين تناولوا مسألة القيم ، ففسروا القيم من الناحية النفعية البراغماتية ، *"حيث تناسوا و تغافلوا عن أصلها و منشأها التاريخي الذي هو " لأقوياء من الناس " بعيدا عن المنفعة أو الخطأ"* [4] .

[1]) فريدريك نيتشه، ارادة القوة ، المصدر السابق ، ص31.

[2]) محمد شيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، ص 287

[3]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، ص 347

[4]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، ص 347.

أخلاق الأقوياء

إن إرادة القوة هي التي تحرك الأفراد و التاريخ و الصراعات العسكرية و التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و الأخلاقية و العلاقات بين الأفراد ، فقد أصبحت هذه النظرية هي الأساس في الفلسفة النيتشاوية ، بل أصبحت هي المرجع لميتافيزيقا نيتشه ، إذْ لامس مبدأ إرادة القوة جل الشذرات الفلسفية في كتاباته ، لذا نجد أن أول ما دعى اليه هو قلب القيم و التي من بينها القيم الأخلاقية و التأسيس لـ أخلاق جديدة نابعة من إرادة القوة على اعتبار أن هذه الأخيرة هي مقياس القيم في هذا العالم ، فرفض بذلك الأخلاق القديمة ، أخلاق الضعف و الضعفاء ، فـ من أجل التأسيس لمجتمع ما يتطلب أن يتسم هذا المجتمع بصفات معية و محددة ، تختلف عن المجتمعات الأخرى على اعتبار أن العمل اليوتوبي يحتاج الى تأسيس جديد و تخطيط محكم حتى نحصل على مجتمع مثالي (مع التحفظ على هذه الكلمة مع الفلسفة النيتشاوية) أو بـ الأحرى نموذجي أو المجتمع القوي ، و أول ما اشتغل نيتشه على تغيره ، من أجل تجاوز الحيوان الهجين (المسيحي) ، هو التأسيس لأخلاق جديدة متمثلة في أخلاق السادة .

أخلاق السادة: يقول نيتشه : " **(نحن الحقانيين) هكذا يسمي النبلاء انفسهم** ، (..) إن أخلاقا كهذه تمجيد للذات ، في الصدارة يأتي شعور بالامتلاء ، بقدرة تريد تدفقا ، الانسان النبيل يسعف أيضا البائسّ ، لكن نادرا ما يكون ذلك بدافع الرحمة ، بل بالأحرى باندفاع يتولد من فيض القدرة . و يكرم الانسان النبيل في نفسه القادر و ذا القدرة على نفسه ، و العارف كيف يتكلم و كيف يصمت و الصارم على نفسه و القاسي عليها بلذة ، و يُجِلُ كل ما هو قاسٍ و صارم تقول الأسطورة الاسكندينافية القديمة

(و ضع فوتان قلبا قاسيا على صدري) إن مثل هذا القول لهو صادر بحق عن نفس فيكينج صنديد ويستطرد بطل الأسطورة قائلا : من ليس له قلب قاس منذ الصغر، فلن يقسوا قلبه يوما) [1]

فالأخلاق النيتشاوية من خلال ما سبق " هي رمز للفوز الجسماني ، للحياة الصاعدة لـ إرادة القوة باعتبارها مبدأ الحياة إن أخلاق السادة تلك التي تقول نعم غريزيا "[2] ، تلك الأخلاق التي مصدرها الممتازين من الإنسانية [3] فإذا ما تناولنا على سبيل المثال التعارض بين الخير والشرير ، و الذي له المعنى ذاته ، للتضاد القائم بين النبيل و الحقير فإننا نجد أنه حين يحدد مفهوم الطيب ، فإن مشاعر العزة و التفوق هي التي تحس على أنها مميزة و تؤسس التراتب "[4] ففي الفترة اليونانية ارتبطت الأخلاق بالمنفعة ثم امتدت إلى الإنسان الإرستقراطي هو صانع القيم ، و على العكس من ذلك نجد أخلاق العبيد أو الضعفاء الذين يعتبرون أخلاق النبلاء أخلاقا شريرة .

و يتكلم نيتشه حول كيف تشكلت أخلاق السادة قائلا : " إن الحضارات الكبرى نشأت في البدء بأن قامت طبقة من الأرستقراطيين الممتازين على شكل حيوانات مفترسة شقراء تذرع الارض في آسيا و أوروبا وجزر المحيط الهادي ، مغيرة على كل الاراضي التي تمر بها . و هكذا نشأت الحضارة اليونانية و الرومانية و الجرمانية . (..) وقد اخترعت هذه الأمم لنفسها شرعة من القيم الأخلاقية تؤكد بها سيادتها و استمرار سطوتها و سيطرتها [5] ، فهي التي كانت تتكفل بـ الأوامر الحربية و تُشَكِلُها إضافة إلى الأخلاق حيث أن طبقة الإرستقراطيين هي التي كانت تؤسس لهذه الأخلاق ، فأخلاقهم كانت تنبع من محض إرادتهم و لم تكن مفروضة عليهم البتة .على العكس من المسيحية التي " يجد فيها دعوة الى

---

[1]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر، المصدر السابق ، ص 248.

[2]) أمزيان حسين، الاغريق واليهود و الالمان في فلسفة نيتشه ،المرجع السابق ، ص 65.

[3]) عبد الرحمن بدوي ، نيتـــــشـــه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ،(ط 5)، 1975، ص 172.

[4]) أمزيان حسين، الاغريق واليهود والالمان في فلسفة نيتشه ،المرجع السابق ص 65 .

[5]) عبد الرحمان بدوي ، نيتشه ، المرجع السابق ، ص .ص 173.172.

الخضوع والطيبة ، في حين هو يطلب الارتفاع و الكبرياء و القسوة ، أو يمكن أن يقال : أن المسيحية تنشد مجتمعا أفقيا يتساوى فيه الجميع ، بل يمنع التفوق لبعض أفراده و يعيد الجميع إلى حال سواء من التوسط ، لكن نيتشه ينشد مجتمعا عموديا يتيح للعظماء أن يتفوقوا و يسودوا ، و عنده أن الشرف وثني روماني أرستقراطي ، أما الضمير فمسيحي يهودي ديمقراطي ، و أن أوروبا لهذا السبب مهددة ببوذية جديدة ."[1] و عليه فليحتفظ القطيع ، " بأخلاقهم ، و على القوى و الإنسان الأعلى أن يسارع بالتخلص من أغلال أخلاق العبيد"[2].

يرى نيتشه أن الأمم و الدول يجب أن يحكمها أناس أقوياء لا الضعفاء ، ففي المجال السياسي مثلا " يطالب الضعفاء بالعدالة إلى جانب الذين يملكون القوة ، و بـ الحرية أي بالتخلص ممن بيدهم مقاليد الأمور ، و بـ التساوي في الحقوق (..) وفي الأخلاق أيضا تنشأ القيم الأخلاقية من تنازع السلطان و الغلبة و القوة بين السادة و العبيد ، فالعبيد يخترعون قيما أخلاقية لإخضاع السادة لهم عن طريقيها و هي ليست سوى أسلحة مسمومة للتحرر من سيطرة سادتهم "[3] و ينتقد نيتشه الإشتراكية لأنها تحاول المساواة بين الناس قائلا :" **إن المطالبة بالمساواة كما يفعل الاشتراكيون و الطبقة الخاضعة لم تعد على الإطلاق تشكل تعبيرا عن العدالة ، بل على الجشع –** حين نُري السبع عن قرب أطراف لحم دام ثم نسحبها ، حتى إنه في النهاية يشرع في الزئير فهل تعتقدون أن ذلك مطالبة بالعدالة؟[4]

لماذا أخلاق السادة ؟ إن السبب الذي جعل نيتشه يدعو لهذا النوع من الاخلاق النابعة من الإنسان القوي النبيل ، و ليست الاخلاق النابعة من المثل ، و لا تلك التي مصدرها الدين أو العقل ، راجع لبحثه

---

[1]) سلامة موسى ، هولاء علموني ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، مصر ، (دط) ، 2011، ص.ص 62.61.

[2]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 208.

[3]) المرجع نفسه ، ص 310.

[4]) فريدريك نيتشه إنساني مفرط في إنسانيته ،المصدر السابق ، ص 298.

عن الأنسان الأسمى ، الإنسان القوي صاحب الفعل المباشر ، فأخلاق **السوبرمان** بها سمات القوة (الإعتزاز ، و السيطرة و المخاطرة و يكرهون الرحمة و الشفقة ، و يبغض النبلاء الارستقراطيين الكذب و النفاق و التملق يميلون إلى العفو على الآخرين كفعل إرادة لا فعل هزيمة). لهذا نجد نيتشه كـ أرستقراطي يقول : " **ما لا يقتلني يقويني .. تعلمته في مدرسة الحياة الحربية** " [1] بمعنى أنه لا يبالي بكل المخاطر التي أمامه ، ما دامت لم تقتله . و من هنا يزداد قوة و صلابة أكثر فأكثر.

عملية قلب القيم النيتشاوية هدفها التأسيس لميتافيزيقا مضادة أساسها القوة و الجسد و الغريزة و من ثمة تؤسس هذه إلى أخلاق مناهضة للأخلاق المسيحية و الكلاسيكية الهجينيتين التي ليست من صفات الإنسان الأعلى ، فعملية ترتيب القيم مثلما أسست إلى ميتافيزيقا مضادة أسست أيضا إلى يوتوبيا جديدة ، أساسها القوة و تمجيد الغريزة و غايتها السوبرمان فلكي يصل إلى الإنسان الأعلى (اليوتوبيا متجسدة) يتطلب أن تكون أخلاق هذا الإنسان الأسمى أخلاق قوة لا ضعف أو هون .

[1]) فريدريك نيتشه ، افول الاصنام ، المصدر السابق ، شذرة 8، ص 9.

المبحث الثاني : الانسان

تعد فلسفة نيتشه فلسفة الإنسان بامتياز ، فقد كان همها الأساسي هو الإنسان بكل هواجسه و أمانيه لذا لامست فلسفته كل الأبعاد الإنسانية (الإنسان كـ كائن مقيم أخلاقي و جمالي و غريزي و فنان و ذلك كمبدع ..) ، لقد أخذت العديد من مؤلفاته إسم الإنسان كـ " هذا هو الإنسان " و إنساني مفرط في إنسانيته " و مؤلفه قضية **فاجنر** إضافة لكتابه " هكذا تكلم زارادشت " حيث أن مضامين هذه الكتب تعالج مسائل إنسانية بحته سواء في قراءتها لـ الإنسان أو بحثها عنه أو دعوتها لتجاوزه .

إن دراسات نيتشه الجنيالوجية القيمية إنما لامست و عادت لـ الإنسان ، فنظرية القيم التي أفاض فيها بل التي تعبر عن فلسفته و تمثلها ، إنما ترتبط بشكل مباشر بالإنسان كونه واضعها و صانعها ، فهو محورها الرئيس ، لذا لا يمكن البتة التشكيك في كون هذه الفلسفة فلسفة لـ الإنسان ، فـ حتى العودة الجنيالوجية القيمية إنما هي عودة لدراسة قيم الشعوب و الأمم بحمولاتها الميتافيزيقية و الدينية و الأخلاقية ، " لقد جاء تناول نيتشه لـ الإنسان كـ دراسة أنثربولوجية شملت كل التاريخ البشري ، بما في ذلك فترة ما قبل التاريخ (..) فقد استند في دراساته للإنسان و المجتمع و الثقافة ، إلى معطيات واقعية و شمل نقده ما تعرض له الإنسان حقا "[1] .

[1]) أمزيان حسين، الاغريق واليهود والالمان في فلسفة نيتشه ،المرجع السابق ،ص 21

العلاقات الانسانية

يقول نيتشه : **الإنسان العادي كائن يجب أن نتفوقه**"[1] ، إن إعادة ترتيب و زعزعة القيم هي التي تمكننا من تجاوز هذا الإنسان العادي نحو الإنسان الأعلى و لأن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي يستحيل أن يعيش خارج الأطر الاجتماعية ، لقد حاول نيتشه أن يبحث عن كيفيه إنتاج الإنسان المتفوق داخل مجموعة هذه الأطر و التي من بينها ، الصداقة كسمة إنسانية و الزواج بوصفه ضرورة ملحة تقتضيها الغريزة الإنسانية ليس من أجل حفظ البقاء فحسب إنما لـ إنتاج الإنسان الأسمى أيضا.

يقول نيتشه في كتابه هكذا تكلم زارادشت : " **إنكم لا تعانون بما فيه الكفاية في نظري !! ذلك أنكم تتعذبون بـ أنفسكم و لم تتعذبوا بعد بـ الإنسان** "[2] ، إن في هذا إشارة لما يسمى بـ العلاقات الاجتماعية و الإنسانية بصفة غير مباشرة ، تلك العلاقة التي تحكمها حسب نيتشه إرادة القوة ، ذلك أن تركيبة المجتمع تقوم على وجود سادة و عبيد لأن " من يمتلك القوة العليا في جعل الغير يَضْحى وسيلة له هو الذي يسود و للتابعين تابعين لهم ، و هكذا فصراعاتهم دائمة ، الديمومة التي حين تبلغ حدا معينا تكون ضرورية لوجود الجميع "[3] .

1- الصداقة

لقد تكلم نيتشه عن مجموعة من العلاقات الإنسانية التي من بينها الصداقة هذه الأخيرة التي رأى أن ضرورتها محتمة على الإنسان و ذلك ليكسب ثقته بنفسه يقول في كتابه هكذا تكلم زارادشت : " يقول المنفرد في نفسه (لا أطيق و جود أحد بقربي) و لكثرة ما يقف محدقا في ذاته تظهر التثنية فيه و يقوم

---

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، مصدر سابق ، ص 31.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ،تر: علي مصباح ، المصدر السابق ، ص 534.

[3]) أمزيان حسين، الاغريق واليهود والالمان في فلسفة نيتشه ،المرجع السابق ،ص31.

الجدال بين شخصيته و بين ذاته فيشعر بالحاجة إلى صديق ، و ما الصديق للمنفرد إلا شخص ثالث يحول دون سقوط المتجادلين إلى الأغوار كما تمنع المنطقة المفرغة غرق العائمين "[1] و يردف قائلا " إن أغوار المنفرد بعيدة القرار ، فهو بحاجة إلى صديق له انجاده العالية ، فثقة الإنسان بغيره تقوده إلى ثقته بنفسه "[2] فالصداقة حسب فريدريك نيتشه بوصفها نوعا من المحبة تقضي على سمه الحسد كما أن الطموح إلى اكتساب الصديق يستدعي من الإنسان المصادق الدفاع عن صديقه بل و أن يكافح من أجله أيضا ، و لكنه يشترط في هذا الصديق المكافح أن يكون كامن فيه عدو يقول نيتشه " و لا يصلح للكفاح إلا من يمكنه أن يكون عدوا . وجب على المرء أن يحترم العداء في صديقه ، إذ لا يمكن أن تقترب من قلب صديقك إلا حين تهاجمه و تحارب شخصيته " [3]. فأحيانا علاقة الصداقة تمر بأزمات ما تفتأ أن تغور و ذلك "**بوضع حبات من الخطأ على كتفنا فأنه يعود للصداقة توازنها الصحيح** " [4] إن السبب الذي يجعل نيتشه يدعو إلى أن يكون الصديق عدوا حتى لا يبدوا الإنسان عاريا أمام صديقه عالما بكل خباياه من لا يعرف المصانعة يدفع بالناس إلى الثورة عليه فاحذر العري ، عليك بارتداء خير لباس أمام صديقك ، لتهيب فيه طلب الانسان المتفوق " [5] ربط نيتشه بين الصديق وبين الإنسان الأعلى ، فالإنسان عليه كصديق أن يكون قدوة لصديقه من أجل أن يطمح في بلوغ الانسان الأعلى و ذلك بـ التأثير عليه ، لكن هل وصل الإنسان حقا إلى مرحلة تسود فيها الصداقة بين الرجال ؟ يتساءل نيتشه. يقول : **دع الصداقة إذا كنت عبدا و إذا كنت عاتيا فلا تطمح إلى اكتساب أصدقاء** "[6] .

---

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، تر: فليكس فارس ، ص 75.

[2]) فريدريك نيتشه ،المصدر نفسه ، ص 75.

[3]) المصدر نفسه ، ص 75.

[4])فريدريك نيتشه ، هذا هو الانسان ، ج1، مصدر سابق ،شذرة 305 ص 162

[5])فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ص 76.

[6]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق، ص 76.

2-الأسرة

إن المصطلح الافتراضي الذي يدعى مجتمعا ، يعبر في حقيقته عن ارتباط مجموعة من العائلات وتتشكل العائلة بارتباط رجل و امرأة ، برابط مدني أو ديني ، أو عرفي (الاعراف والعادات والتقاليد) و يسمى هذا الرابط زواجا . يختلف الزواج وطقوسه من مجتمع الى آخر ومن دين الى دين ، كما ان للفلاسفة اراء في الزواج وقد كان لنيتشه رأي في هذا الموضوع ، لكن قبل التطرق لموضوع الزواج سوف نتتبع رأي نيتشه في المرأة باعتبارها الجنس الاخر على حد تعبير **سيمون دي بوفوار** (simone de beauvoir)، و الذي يشكل إحدى أطراف **العلاقة الزوجية** التي يراهن عليها نيتشه في يوتوبياه .

2-1-المرأة

بوجه عام فإن نيتشه ليس لديه علاقة جيدة مع المرأة فعلى الرغم من أنه تربى في بيئة نسوية خالصة " فقد توفي أبوه و تركه صغيرا فأشرف على تربيته ثلة من النساء التقيات الصالحات من أفراد الأسرة "[1] و برغم من نشوءه في هذا الوسط الأنثوي إلا أنه ثار ضده فهو يرى أن النساء " أغلبهن مثقفات على الضعف ، متلهفات على شفقاتهن الصارخة ، على ازدرائهن لكل الم ، و على التخنث الإرادي الذي يلوح بنشر بوذية جديدة في أوروبا "[2] فالنساء حسب رأيه يساهمن في نشر سمات الضعف و بسببهن يضعفن في ظهور الإنسان الأعلى لأنهن مجبولات على الضعف و لأنهن غير ماهرات في الطبخ ويقصد بالطبخ هنا هو عملية إعداد النشأ " يا للغباء في **المطبخ يا للمرأة كطباخة** ، يا لـ الإهمال المرعب في تغذية العائلة و رب البيت ، المرأة لا تفقه معنى الطعام ، و تريد أن تكون طباخة ، و لو كانت المرأة

[1]) ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق ، ص 507.

[2]) بن دوخة هشام ، الفلسفة والنسوية : نيتشه والوجه الاخر للمرأة ، منشورات الاختلاف ،الجزائر،(ط1)، 2013، ص 74.

كائنا مفكرا لوجب عليها ، لكونها طباخة منذ آلآف السنين ، أن تعثر على أكبر الحقائق الفيزيولوجية و تمتلك كذلك فن العلاج ، **إذ بسبب رداءة الطباخات** ، والغياب الكامل للعقل في المطبخ ، أعيق تطور الإنسان لأطول مدة ، وأنزل به أشد الضرر "[1] و يضيف قائلا :" في المرأة يكمن كثير من سمات المتحذلق و المدرس و السطحي كثير من تافه الإدعاء و الاستهتار و التعجرف – حسبك أن تدرس مخالطتها للأطفال [2] .

و يرى نيتشه أيضا أن المرأة " تآمرت دائما مع نماذج الإنحطاط ، مع القساوسة ، ضد القادرين و الأقوياء و الرجال "[3] ، بل هي تواطأت حتى ضد المرأة و قد جاء هذا في كتابه ما وراء الخير والشر : "**أليس من الصحيح اجمالا أن المرأة لقيت حتى الآن أشد الازدراء من المرأة ذاتها** " [4] فهي تتخذ من الزهد و الورع و التقية سمات لا يجب التخلي عنها ، لذا دعى على لسان زارادشت أن يأخذ المرء سوطا إذا ما أراد التوجه صوب النساء .

و على الرغم من تحامل نيتشه على المرأة إلا أنه يرى بأن الرجل هو السبب في الوضع الإرتكاسي الذي آلت إليه المرأة ،" فـ الكثير من الصفات السلبية يتحمل أوزارها الرجل ، بفعل إخضاعه للمرأة و سعيه الدؤوب وراء تقنينها بفعل أدوات كالتربية لتصبح مجرد آلة فحسب "[5] فالرجال ينظرون للنساء على أنهن:"عصافير تائهة هبطت إليهم من علياء ما ، أي بوصفهن شيئا ألطف و أرق و أعذب و أغرب و أكثر حوشية و عاطفية ، لكن بوصفهن شيئا يجب حبسه لئلا يفر طائرا "[6] ، إن المرأة في الغالب ضعيفة

---

[1]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، مصدر سابق ، ص204.

[2]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، مصدر سابق ، ص201.

[3])بن دوخة هشام ، الفلسفة النسوية ، نيتشه و الوجه الآحر للمرأة ، لمرجع سابق ، ص 74.

[4]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، مصدر سابق ، 202.

[5]) بن دوخة هشام ، الفلسفة والنسوية : نيتشه والوجه الاخر للمرأة ، المرجع نفسه ، 75

[6]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، مصدر سابق ، ص 205.

تابعة ، وهَمُ المرأة الوحيد هو الحب وهدفها الأساسي هو "الحبل" ، يقول نيتشه " **كل ما في المرأة لغز ، و ليس لهذا اللغز إلا مفتاح واحد وهو كلمة " الحبل** " [1] ، حتى أنه يقول في إحدى شذراته متهكما على المرأة و ضعفها اتجاه الحب قائلا : " **يرمي لهوا ، كلمة في الهواء . و قد أوقعت تلك الكلمة بالرغم من كل شيء امرأة !!** "[2] فالمرأة لا تعرف شيئا يسمى الصداقة هاهو يقول " لم تبلغ المرأة بعد ما يؤهلها للوفاء كصديقة ،فما هي إلا هرة ، و قد تكون عصفورا و إذا ارتقت أصبحت بقرة .. [3] إن المرأة تعرف فقط الحب و لا شيء سوى الحب ، و يحذر نيتشه الرجال من المرأة في الحب قائلا : " ليحذر الرجل المرأة عندما يستولي عليها الحب فهي تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، إذ تضمحل في نظرها قيم الأشياء كلها تجاه قيمته . ليحذر الرجل المرأة عندما تساورها البغضاء لأنه اذا كان قلب الرجل مكمنا للقسوة ، فان قلب المرأة مكمن للشر **(...) تقول المرأة وقد استسلمت لحبها الاعمى : لقد اكتمل العالم** " [4] فالمرأة ترى في الحب الحياة كلها في حين أن الرجل يرى أن الحب جزء من الحياة فقط ، فالرجل في نظر نيتشه أشد عمقا من المرأة "**التي يعتبرها الناس عميقة ، ببساطة لأنهم لا يلتمسون العمق فيها أبدا ، ان المرأة ليست حتى مسطحة** " [5] فغرور و طموح الرجال أكبر من طموح المرأة ، التي ترى في الحب و الحبل حلمها و هدفها النهائي .

2-2- الزواج

---

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص 84.

[2]) فريدريك نيتشه ، العلم الجذل ، تر: سعاد حرب ، دار المنتخب العربي ، لبنان ، (د.ط) ، (د س) ، ص17، شذرة 19.

[3]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ،المصدر السابق ص 77.

[4]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ،المصدر السابق ، ص85 .

[5]) فريدريك نيتشه ، افول الاصنام ، المصدر السابق ، ص 13.

يعرف نيتشه الزواج على أنه " **اجتماع إرادتين لإيجاد فرد يفوق من كانا علة و جوده ، فالزواج حرمة متبادلة ترسو على احترام هذه الإرادة** "[1] حيث تكون تلك الإرادتين تحمل من الصفات المتفوقة و القوية أكبر من صفات الأجداد ، و يشترط نيتشه لنجاح الزواج أن لا ينشأ عن طريق رابطة دينية و لا يفضل أن يبنى الزواج على حب أيضا ، يقول في هذا الصدد " إنما تدعونه عشقا إنما هو جنون يتتالى نوبة بعد نوبة حتى يجيء زواجكم خاتما هذه الحماقات بالحماقة المستقرة الكبرى "[2] ، بل و يشترط أن يبنى الزواج على رابطة الصداقة " **فالزواج الموفق يقف على أهلية الصداقة** " [3] لأن " **الزيجات التي تتم عن حب يكون أبوها الخطأ و أمها الضرورة** "[4] .

" لا يجب أن نتناسل ، إنما يجب أن نتناسل إلى الأعلى "[5] أن الهدف من الزواج في الفلسفة النيتشاوية هو الطموح للوصول للإنسان الأعلى ، فهو يدعو لزواج الراقيين من الرجال ، بالراقيات من النساء ، فلا يسمح بزواج الراقيين من الرجال بالخادمات تحت مسمى الحب ، كما نجده يتهكم على المرأة لأنها لا تحمل هدفا سوى للحبل " فنداءهن الأول و الأخير هو وضع الأطفال في هذا العالم "[6] ، لذا دعى المرأة إلى عدم الاكتفاء بإنجاب الولد " فالمرأة تمنح نفسها – تنتظر المقابل الطفل – تمنح أغلى ما تملك لتنتظر الرد بالمثل – الطفل – و هذا ما يؤسف نيتشه "[7] لذا دعى نيتشه المرأة إلى خلق الرجل

---

[1]) فريدريك نيتشه هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ،ص 88.

[2]) فريدريك نيتشه هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص 89.

[3]) فريدريك نيشه ، انساني مفرط في انسانيته ، ص 179.

[4]) المصدر نفسه ، ص 180.

[5]) سلامة موسى ، هولاء علموني، المرجع سابق، ص 61.

[6]) بن دوخة هشام ،الفلسفة والنسوية :نيتشه والوجه الاخر للمراة ، المرجع السابق ، ص77.

[7]) المرجع نفسه ، ص78.

السوبرمان قائلا : **ليتوهج الكوكب السني في حبك أيتها المرأة ، و ليهتف شوقك قائلا : لأصنعن للعالم الإنسان المتفوق** "[1] .

دعى نيتشه الرجل أيضا إلى تجاوز الإنسان من أجل الإنسان الأسمى ، و ذلك بانتقاء و حسن الاختيار ، فهذا الارتباط مبني على انتخاب و اصطفاء يقول نيتشه : أنت في مقتبل العمر و تتمنى أن يكون لك زوجة و ولد ، و لكن قل لي هل انت الرجل الذي يحق له هذا التمني ؟ أأنت الظافر المنتصر في نفسه ، الحاكم على حواسه السائد على فضائله ؟ أم أن تمنيك هذا ليس إلا شهوة حيوان أو خشية منفرد ؟ ، إن ما أريده منك هو أن تتوق بانتصارك و حريتك إلى التجدد بالولد. إذ عليك أن تقيم الإنصاب إلى ما فوق مستواك. هل بوسعك أن تفعل إذا لم تكن متين البنية من رأسك إلى أخمص قدميك ؟ **(...) إذا كنت تشعر بشوقك يندفع كسهم نحو الإنسان المتفوق فإنني أقدس إرادتك و اقدس زواجك**"[2] ، القوة ثم القوة ، هذا ما يجب أن يتوفر في طرفي الزواج سواء من الناحية البيولوجية أو من الناحية النفسية ، فالهدف من هذا الزواج ليس النسل و حفظ البقاء ، إن الهدف منها هو تجاوز الإنسان " إنه زواج من أجل قيام **(جمهورية الإنسان الأعلى)** !! فقد ولى زمن بناء البيت ، و حل زمن عصر جديد زمن النشأة و الخلق "[3]

من هنا إذن يصبح الزواج هو الآخر وسيلة من وسائل الوصول و الطموح إلى اليوتوبيا النيتشاوية تماما كـ الأخلاق المبنية على إرادة القوة ، التي تقصي هي الأخرى الضعيف من أجل الوصول إلى الإنسان السامي (السوبرمان) إن الإنسان العادي كائن يجب تخطيه و تجاوزه نحو الإنسان الأعلى

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ،ص 85.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ، 89.

[3]) بن دوخة هشام ،الفلسفة والنسوية :نيتشه والوجه الاخر للمراة ،المرجع السابق ، ص **80**

يكون ذلك بعملية اصطفاء و انتقاء ، فـ اليوتوبيا النيتشاوية باكتمالها المتجسد في الإنسان الأعلى لا يتحقق إلا بانتقاء الأحسن و الأجود لخلق السوبرمان الرجل الذي يتجاوز الإنسان العادي.

المبحث الثالث : الميثيولوجيا في فلسفة نيتشه

1- الله

ورد مصطلح الله أو الإله في الفلسفة النيتشاوية معبرا عن العدم و الانحطاط و ورد أحيانا أخرى مقرونا بالنهاية و الوفاة ، فقد اشتهر نيتشه بعبارته " الإله قد مات " ، فأما من وجهة النظر الإنحطاطية فإن فكرة الله تعبر عن " إرادة العدم ، و عن الحط من قيمة الحياة ، فحين لا نضع مركز ثقل الحياة في الحياة ، بل في الآخرة ، في العدم ، نكون نزعنا من الحياة مركز ثقلها ، لكن الحط من قيمة الحياة و كرهها بمجملها يؤدي إلى تمجيد الحياة الإرتكاسية "[1] فتمجيد العدم و الحياة الآخرة في نظر نيتشه إنما هي تمجيد لـ قيم الانحطاط و تعبر عنها على اعتبار أن الأخلاق الدينية لا تمجد الحياة الأرضية و تهمل الجسد و تحارب أخلاق السادة ، "لقد مات المسيح من أجل خطايانا ، و لقد قدم الدائن ابنه شخصيا و بسببنا ، يرفع ابنه على صليب بفعل المحبة ، و سوف نرد على هذه المحبة بقدر ما سنحس بأنفسنا مذنبين ، مذنبين بهذا الموت و بقدر ما نعوض من هذا الذنب عبر اتهام أنفسنا ، و في ظل محبة الله و التضحية بابنه ، تصبح الحياة إرتكاسية بكاملها .. تموت الحياة "[2] لكن في حقيقة الأمر تولد الحقد من هذه المحبة ، يقول نيتشه : " **الله الأحد .. الإبن الوحيد كلاهما صنعا الحقد** "[3] ، لقد وصف نيتشه عملية وهب الرب ابنه من أجل تخليص البشرية بـ اللاعقلانية ، فلا يمكن للعقل أن يتصور هذا الكلام أصلا يقول :" من الآن فصاعدا ، تندفق مشكلة منافية للعقل و استحالية : كيف أمكن لله أن يسمح بهذا ؟ و لأجل هذا التساؤل وجد العقل المضطرب المشوش للجماعة الصغيرة جوابا منافيا للعقل بشكل مرهب ، لقد وهب الله ابنه لمغفرة الخطايا ، كأضحية استغفار، آه كيف بضربة واحدة ، وبأية

---

[1]) جيل دولوز ، نيتشه و الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 196.

[2]) المرجع نفسه ، ص.ص 198.197.

[3]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ،شذرة 40 ، ص 114.

طريقة ينتهى من الإنجيل ، الذبيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للإشمئزاز الأكثر بربرية ، التضحية بالبريء لغفران خطايا المذنبين ، أية وثنية هائلة ؟!![1]. يرى فريدريك نيتشه أن موت المسيح صلبا إنما هو تأسيس لحركة بوذية يقول في الكتب ذاته (عدو المسيح) " ترى ما وضع نهاية له الموت على الصليب: ابتداء جديد و تام و حقيقي لحركة بوذية للمسالمة ، و لسعادة فعلية لا موعودة ، فوق الأرض " [2] .

لقد عبرت فكرة موت الإله عند نيتشه أيضا عن " نهاية كل المثالية تتخذ من صورة عالم الآخر خلف الإنسان و هيئة تعال موضوعي " [3] و قد حمل أحد أبرز كتبه عنوان " **أفول الأصنام**" الذي نقد فيه أبرز الأصنام على الإطلاق الصنم سقراط . و تكون هذه النهاية بواسطة عملية قلب القيم و قد نقد نيتشه فكرة العالم الآخر ، العالم اللا أرضي ، قائلا : لقد علمتني ذاتي عزة جديدة أعلمها الآن للناس علمتني أن أخفي بعد الآن في الرمال السماوية ، بل أرفعها رأسا ترابية تبتدع معنى الارض "[4] ، فحتى إذا ما قامت فلسفة جديدة أو ميتافيزيقا جديدة فسيكون مصدرها الإنسان و منطلقة من الأرض ، ببساطة ستكون هذه الميتافيزيقا إنسانية مفرطة في إنسانيتها منطلقة من المقوم لـ الأشياء و مانحها معناها و قيمتها.

إن دعوى نيتشه لقتل الله ، هي دعوى من أجل التخلي عن مركزية الإله ، تلك المركزية التي تمتاز بالثبات و المطلقية ، لقد دعى نيتشه لخلخلتها وهذا لكي يتسنى لإنسان العادي خلق الإنسان الأعلى أي الانتقال من الإنسان الأخير إلى الإنسان المتفوق أو السوبرمان .

---

[1]) فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، مصدر سابق ، شذرة 41، ص 115.114.

[2]) المصدر نفسه ، ص شذرة 42 ، ص 116.

[3]) صفاء عبد السلام علي جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، مرجع سابق ،ص 352.

[4]) المرجع نفسه ، ص 353.

2- الدين

إن القراءة النيتشاوية للدين كانت قراءة نقدية شأنها في ذلك جل ما تطرق له نيتشه من ظواهر إنسانية ، لقد ربط نيتشه بين الدين و أخلاقه و المؤمنين به ، فالطبقة التي تؤمن بالدين هي من فئة الضعفاء و المهمشين و على هذا الأساس يرى نيتشه أن الدين يتغذى على مظاهر الخوف ، لقد وصف نيتشه الدين بكونه " **لم يحتو على حقيقة أبدا ، لا بشكل مباشر و لا غير مباشر ، لا على شكل ركن من أركانه و لا على شكل حكمة . لأن الدين إنما يولد من الخوف و من الحاجة** "[1] .

إن أبرز ما أعابه نيتشه على الدين هو أخلاقه الإرتكاسية و قيم الانحطاط التي يدعو لها ، كفكرة المساواة بين البشر ، حيث أن الأديان تلغي الفروقات الفردية بين النبلاء و العامة من الناس و هذا ما لا يرتضيه نيتشه لأن هذا يشيع و يسمح بتفشي **العدمية**[2] التي من أسبابها أن :

- "النوع الراقي غير موجود أي النوع الذي يمكن إنتاجه و قوته اللذان لا ينضب لهما معين من الحفاظ على الايمان بالانسان.
- النوع الأدنى " القطيع " " الجماهير" "مجتمع " ينسى التواضع ويضخم رغباته إلى أن يجعل منها قيما كونية ما ورائية " [3]

ففي نظر نيتشه و كما سبقت الإشارة يستسقي القطيع أو الضعفاء أو المؤمنين أخلاقهم من الدين الذي ساوى بينهم وبين الأنبال من الناس ، فقد جاء في رسالة بولس لأهل رومية " لا فرق بين اليهودي و

---

[1]) فريدريك نيتشه ، انساني مفرط في انسانيته ، المصدر السابق ، شذرة 110، ص 75.

[2]) **العدمية** NIHILISME: وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (NIHIL) ومعناه لاشئ والعدمية فلسفية وأخلاقية . أما من الناحية الفلسفية فهمي مطلقة أو نقدية. الأولي تتميز بانكار وجود كل شئ ، والثانية تتميز ابنكار قدرة العقل علي الوصول الي الحقيقة . وهي في كلا الحالين المرادفة للريبية ،أما العديمة الأخلاقية فهي مذهب نظري أو نزعة فكرية ، فاذا كان مذهبا نظريا دلت علي انكالا القديم الأخلاقية و ابطال مراتبها . وإذا كانت نزعة فكرية ، دلت علي خلو العقل من تصور هذه القيم . ص 66 (معجم جميل صليبا ج 2).

[3]) فريدريك نيتشه ، إرادة القوة ، المصدر السابق ، ص 25.

اليوناني لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به "[1] ، فمن وجهة النظر الدينية المسيحية البشر سواسية أمام الرب غير أن الرب أو الإله قد مات فها هو يؤكد على لسان زارادشت فكرة موت الإله " أيها الرجال الراقون ،تعلموا مني قولي : لا يؤمن أحد في الساحة العمومية بالإنسان الراقي ، و إذا شئتم أن تتكلموا على هذه الساحة كما تشتهون فإن العامة تتغامز قائلة :" إننا جميعا متساوون " ، أيها الرجال الراقون ، إن طبقة الشعب تنكر الإنسان الراقي فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم إنسانا واحدا أمام الله .[2] **إما المساواة أمام الله ما لنا و لها ما دام هذا الإله قد مات (..)** في هذا الزمان تعود الظهيرة إلى ذر أنوارها و يصبح الإنسان الأعلى سيدا . لقد مات الله ، و نحن نريد الآن أن يحي الإنسان المتفوق."[3]

ينتقد نيتشه الديانة المسيحية بوصفها دين إستكانة و ضعف و لكونها أيضا امتدادا لليهودية ذلك الدين السماوي الذي " صهر أنبياءهم الألفاظ غني و فقير و كافر و شرير و عنيف و وحشي ، في كتله واحدة و حولوا لفظ الدنيا لأول مرة إلى عملة عار "[4] "اليهود هذا الشعب الكهنوتي الذي لم يعرف معنى للراحة في صراعه مع أعدائه و المتغلبين عليه إلا عندما توصل إلى إجراء تحويل جذري على جميع القيم أي عندما توسل فعلا انتقاميا روحيا في جوهره .هذا الفعل لا يقوى على القيام به إلا شعب من الكهنة . شعب ينتقم بطريقة كهنوتية لحقده المكبوت .إن اليهود هم الذين تجرؤا ، بطريقة عظيمة على قلب معادلة القيم الأرستقراطية ، رأسا على عقب (..) لقد أكدوا أن المساكين وحدهم هم الطيبون و المشوهون هم و حدهم أصحاب التقوى أيضا و وحدهم مباركون من الله "[5] إن اليهود بقلبهم للقيم قد ساهموا بالحط من

---

[1]) رسائل بولس ، رومية 12:10.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، مرجع سابق ، ص .ص141.140

[3]) مرجع نفسه، ص .ص141.140.

[4]) عبد الله عبد الهادي المرهج ، فلسفة الدين : نقد الفكر الديني في فلسفة نيتشه ، منشورات الاختلاف،الجزائر ، (ط1) ،2012، المرجع السابق ، ص 154.

[5]) فريدريك نيتشه ، أصل الأخلاق و فصلها ، ص 30.29.

قيمة الحياة و احتقارها والحقد عليها ، كما أسهم فيما بعد القساوسة بـ ترسيم هذه القيم أي جعلها ذات طابع رسمي حيث بدأ رجال الدين بصناعة قيم مقدسة لا يجوز الخروج عنها و لا تجاوزها .

لم يكتف نقد نيتشه عند هذا الحد فقد انتقد فكرة الإله الواحد التي جاءت في الديانات التوحيدية :" **القوة الرائعة في خلق الآلهة ـ تعدد الآلهة ـ (..) أول صورة لحرية التفكير و لتعدد أفكار الإنسان و حده ، من بين كافة الحيوانات ، أفلت من رسوخ الآفاق و المنظورات** "[1] إن تعدد الآلهة من المنظور النيتشاوي تحرر العقل من فكرة النمط الواحد و الزي الواحد و الجمود و تصلب و تحجر الأفكار فمسألة التعدد تجعل الأفكار الإنسانية أكثر مرونة قابلة لتشكل و التغير و التجدد و قابلا لـ إعادة التقيم مرة أخرى و مرات عديدة .

" لنر ما يفعله المسيحي الحقيقي ، بكل ما تحرمه عليه غريزته : **إنه يثير الشبهات حول كل ما هو جميل ، و غني ، و فجور ، حول كل ما يلمع ، و كل ما هو قوي ، و حول الوعي بالذات ، و المعرفة و المعرفة و يمرغ كل ذلك في الوحل** ، باختصار ، يفعل ذلك بثقافة كلها : غرضه هو أن يسلبها راحة ضميرها ..[2] ، لنر إذن حسب نيتشه فإن ما قام به المسيحي هو إعدام الحياة كليا فهو وقف ضد الطبيعة و الغريزة و أمام كل ما هو جميل في الحياة ، لكن في مقابل ذلك دعى مؤسس المسيحية إلى أقصى معاني الانحطاط و العدم فقد ورد في **العهد الجديد:** "*لكني أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم أحسنوا إلى مبغضيكم . باركوا لاعنيكم و صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم . من ضربك على خذك فأعرض له الآخر أيضا* "[3] .

---

[1]) فريدريك نيتشه ، العلم الجذل ، المصدر السابق ، شذرة 143، ص 126.

[2]) فردريك نيتشه ، ارادة القوة ، المصدر السابق ، ص 109.

[3]) انجيل متى ، الاصحاح 6 : 39.38.

لقد وقف نيتشه بوجه عام ضد ما يسمى بالله و الدين (على اعتبار أن هذا الأخير أي بواسطة "الفلسفة الدينية يمكن اعداد النفس لكي تكون هيئة استقبال كفيلة باحتضان المفاهيم الأخلاقية أي الدين يضفي على هذه الأخلاق طابع القداسة و الإجلال "[1]) ، و هذا عائد لمجموعة من الأسباب وهي على التوالي :

1- " الفكر الديني قائم على المعجزة و السحر الذي يتناقض مع العلم.

2- فكرة المساواة التي جاءت بها الديانات السماوية و تحديدا الديانات السماوية [2]، و يرى أنه لا معنى لهذا القول لأنه يتنافى مع الطبيعة.

3- رؤية الدين السلبية للحياة القائمة على إنكارها و عدها مصدر ألم و تمثل الخطيئة و لا تمثل السعادة ، بل هي ألم دائم للبشرية.

4- الأخلاق الدينية قائمة على الشفقة و التسامح و الزهد و غيرها من أخلاق الضعفاء و البؤساء الذين يمثلون الصفوة في هذه الديانات "[3] .

لقد حاول نيتشه تجاوز فكرتي الله و الدين لأنهما مرتبطان بقيم لابد من تجاوزها ، قيم إنسان القطيع و أخلاق العبيد ، أخلاق الإنسان الأخير ، الإنسان العادي الذي لابد من تجاوزه ، فهذه الأخلاق لا يمكنها البتة أن تؤسس للإنسان الأعلى الذي يطمح له نبي القوة ، يقول نيتشه :**أين الله سأقول لكم لقد قتلناه ـ أنتم و أنا ، نحن كلنا قتلة** ."[4] ، إن عملية قتل الإله سوف تقضي على كل المركزيات

---

[1]) أم الزين بن شيخة المسكيني ، كانط راهنا ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ،(ط1)،2006، ص 55.

3) يمكن إستثناء الدين الإسلامي في هذه المسألة ، ففي القرآن الكريم وردت فكرة المساواة بالنفي و ذلك في قوله تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ" الزمر/9 ، فهناك دائما مبدأ للتفاضل و حتى في المساواة بين البشر أمام الله و هو التقوى .

[3]) عبد الله عبد الهادي المرهج ، فلسفة الدين : نقد الفكر الديني في فلسفة نيتشه ، ص148.

[4]) فريدريك نيتشه ، العلم الجذل ، المصدر السابق ، ص 118.

الميتافيزيقية الكلاسيكية ، و بناءا على عملية الإعدام هذه يخلق الإنسان المقوم قيما جديدة كفيلة بخلق الإنسان الأعلى.

المبحث الرابع: الـــــــــفن

تعد الفلسفة النيتشاوية فلسفة ميتافيزيقية بامتياز ذلك كونها فلسفة اهتمت بالإنسان و جعلت منه المحور الأساسي ، " لأنه يتخذ من الإنسان مركزا للكون و مقياسا لقيمة العالم و الأشياء ، من خلال ما يتمتع به من قدرة على وضع بناء شامخ من القيم "[1] ، إن عملية القلب هذه حاول نيتشه من خلالها تجاوز الميتافيزيقا الكلاسيكية ، لكنها في ذات الآن أسست ميتافيزيقا جديدة مركزها الإنسان ، تلك المركزية جعلت من هذه الفلسفة تتسم بالذاتية التي حاربها نيتشه (الفلسفة الكلاسيكية العقلانية الديكارتية).

كان و ظل هدف الميتافيزيقا النيتشاوية تجاوز العدمية الأوروبية من خلال تحطيم الأوثان المتمثلة في الحقائق المطلقة (سواء مثالية أو دينية) و كذا الأخلاق و خلخلتها ، حيث يرى نيتشه أن الحضارة الغربية مركزها العقل ، " أي أنها ثقافة عقلية أبولونية ، أهملت الوجه الآخر "لأبولون" و هو "ديونيزوس" /اللاعقل/ الغياب/ الجنون" [2] ، لقد اتسمت أخلاق اليونان الأوائل بصفة المأساوية أو ما يعرف بالتراجيديا " التي من مظاهرها إعلاء شأن الجسد و وضعه في مرتبة أعلى و التمسك بالحياة و الارتباط بالأسطورة و الموسيقى و الشعر ، و عدم فصلها عن الواقع و الحياة ، بل جعل كل هذه الأمور شيئا واحدا "[3] ، بينما لم ير سقراط شيء من هذا القبيل ، لقد اتهمه نيتشه بالانزياح عنها (التراجيديا)، يقول نيتشه : "**لنتصور الآن أن هذه العين اللعينة الهائلة الشبيهة بالسكلوب الضخمة لسقراط ـ تلك العين التي لم تشع أبدا بهذا الجنون الرائع من الألهام ـ قد انعطفت صوت التراجيديا** " [4] .

---

[1]) محمد أندلسي ، سياسة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 74.

[2]) مديحة دبابي ، خطابات الما بعد : ما بعد الحداثة ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ،(ط1)،2013، ص 149 .

[3]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق ، المرجع السابق ، ص 104.

[4]) فريدريك نيتشه ، مولد التراجيديا ،تر: شاهر حسن عبيد ، دار الحوار، سوريا ط 1 ،2008، ص174.

لقد اتهم نيتشه سقراط و أفلاطون و الفلسفة الوريثة اللاحقة لهما ، إيراث أوروبا العدمية ، التي من بين أبرز أسبابها " فكرة " المثال " ليضاد به الواقع "[1] ، فهي(العدمية) إحدى نتائج الفلسفة الكلاسيكية القائمة على كل ما هو ارتكاسي ، كما أنها احدى اللحظات الضرورية المحتم على أوروبا الوصول إليها فهي مرحلة اكتمال نتائج الفلسفة الكلاسيكية " التي تقوم على تبخيس الحياة باسم القيم العليا ، إنها تمثل سيادة اللاهوت و الميتافيزيقا و الأخلاق بما هي تأويلات و تقويمات وحيدة للوجود و هي تقويمات تقوم في أساسها على إنكار الحياة و التبخيس بالجسد و الغرائز و الرغبة لصالح قيمها الزهدية العليا "[2]. الحضارة الغربية إذن عقلانية لابد من تقويض تمركزها ، و إذا ما كان هناك حل نيتشاوي فإنه سيتجسد في "ديونيزوس إله العربدة و الرقص و الحركة ، و هو مذهب للعقل لأنه إله الخمر "[3] ، و من هذا المنطلق تم استدعاء الفن وتحديدا الفن التراجيدي كتجاوز لعدمية الحداثة الغربية.

لقد راهنت الفلسفة الكلاسيكية على الأخلاق بينما راهن نيتشه على شيء مختلف " لقد واجه نيتشه طغيان الإنسان الغربي الحديث الناظر ـ إنسان المعرفة القائل بالأقانيم الثلاثة : الحقيقة و الموضوعية و التاريخ بواسطة الفن "[4] ، يقول نيتشه ناقدا الحقائق : " **شيء فضيع أن تموت عطشا في البحر. لم تضعون هذا القدر من الملح في حقيقتكم إلى درجة أنها لا تعود صالحة حتى لإرواء العطش**"[5] . هذه الحقائق هي الحقائق المطلقة التي أدت إلى الانحطاط يقول تباعا :" إن الحاجة اليونانية إلى إضفاء الطابع المنطقي على العالم كانت تشي بانحطاط اليونان" [6] . فمع سقراط تم نصب العداء اتجاه الفن و

---

[1]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، مرجع سابق ، ص 568.

[2])محمد أندلسي ، نيتشه و سياسة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 59.

[3]) مديحة دبابي ، خطابات المابعد : ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ، ص 149.

[4]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 720.

[5]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، تر : حسان بورقية ،شذرة 81، ص 76.

[6]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 530

دعى إلى المعرفة و العلم أي الروح العلمية السقراطية ويقصد بالروح العلمية أن من شأن الطبيعة أن تقبل لأن تعرف كل معرفة . يقول نيتشه :" سقراط لا يرى أن الترجيديا " تقول ما هي الحقيقة " إن سقراط مثل أفلاطون عد التراجيديا من الفنون المداهنة التي لا تمثل سوى ما هو مقبول و ليس النافع ، و لهذا طلب من حواريه الامتناع بشدة عن رؤية هذا ، و نجح في هذا إلى حد أن الترجيدي الشاب أفلاطون حرق ما كتبه لكي يكون أحد تلامذته " [1] ، هذه هي النزعة العلمية التفاؤلية **السقراطية** و **اليوربيديسة** التي تدعي أن بإمكانها احتواء العالم و معرفة كل شيء قد دمرت النزعة التراجيدية " ففي الوقت الذي جاءت فيه هذه النزعة كانت المأساة بحاجة إلى المزيد من التراجيديات "[2] و يرى نيتشه أنها (التراجيديا) ماتت لكن هذا الموت لم يكن " كما في العلم المرح و هكذا تكلم زارادشت عندما أعلن موت الإله ذلك أن التراجيديا ماتت منتحرة " [3] ، يقول نيتشه: " *واجهت التراجيديا الإغريقية موتها بطرق مختلفة حيث جاءها من شقيقاتها في الفن . فقد ماتت التراجيديا ميتة مأساوية بيديها إثر صراعات لا سبيل لحلها ، بينما كان موت الشقيقات الأخريات طبيعيا بسبب تقادم العمر . ولئن حدث موت الدراما دون ألم كدلالة على نهاية طبيعية سعيدة (...) إن التراجيديا الإغريقية بموتها خلفت فراغا كبيرا ملموسا في كل مكان (..) لقد ماتت التراجيديا و بموتها مات الشعر أيضا* "[4]

صحيح أن التراجيديا ماتت غير أن ما سيقوم به نيتشه هو إعادة احياءها ، " لأنه لا يمكن القضاء على العدمية إلا بالفن "[5] و هذا ما أكده من خلال كتابه مولد التراجيديا :" يجب علينا أن نبين كيف

---

[1]) فريدريك نبتشه ، مولد التراجيديا ، المصدر السابق ، شذرة 14، ص 175 .

[2]) والتر كاوفمان ، التراجيديا والفلسفة ، تر: كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، (ط1، 1993 ، ص188.

[3])المرجع نفسه ، ص 187.

[4]) فريدريك نبتشه ، مولد التراجيديا ، المصدر السابق ،شذرة 11 ،ص 152.

[5]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 721.

انتشر تأثير سقراط ، من أيامه حتى الوقت الحاضر و فيما بعد بين الأجيال ، كظل يطول أكثر كلما انحدرت الشمس الغاربة ، و كيف أدى تدريجيا إلى إعادة توليد الفن ــ بمعناه الميتافيزيقي الأشمل و الأعمق ـ و ضمن بالتالي استمرار الفن ذاته".[1]

يرى نيتشه أن الفن عبارة عن نشاط ميتافيزيقي ، بحيث أن العالم في نظره هو ظاهرة فنية و هذا نتاج لعملية قلب القيم التي تبناها ، " ففي كتاب ريتشارد فاغنر **تم تصوير الفن باعتباره تحديدا النشاط الميتافيزيقي للإنسان** . وفي الكتاب ذاته يكرر هذا المبدأ الإيحائي عدة مرات بحيث نفهم أن الوجود، وجود العالم ، مبرر جماليا فقط "[2] . فالفن نشاط ميتافيزيقي و المهمة العليا للحياة نفسها، " فوحده الفن يمكنه أن يداوي جراح الإحساس بالفظاعة و العبث الذي يتركه الوجود فينا ، و ذلك بتوسل آلية تمجيد الوجود في ناظرينا اتقاء القرف الذي تتركه في النفس العبثية "[3] فهو أداة لتجاوز الميتافيزيقا ، لأنه يصوغ ميتافيزيقا جديدة هدفها إثبات الحياة و تمجيدها ، و ليس نفيها كما حصل مع الميتافيزيقا الكلاسيكية القائمة على إرادة العدم و إنكار الوجود و الحياة .

1- خروج الفن عن طوره :

إن الفلسفة المضادة النيتشاوية أفضت إلى خروج الفن عن طوره أي خروجه عن التصور الكلاسيكي للفن ، لقد خرج الفن عن مسلكه مرتين الأولى " حينما يغادر فيها فلك الذات ، و ذلك من أجل استعادة التراجيديا اليونانية ، و مرة ثانية حينما يخرج الرائع من مجال الطبيعة من أجل الاستقرار أخيرا ضمن حقل الفن بوصفه الميتافيزيقا الوحيدة الممكنة لتجاوز نموذج الإنسان الحديث و استبداله بما

[1])فريدريك نيتشه ، مولد التراجيديا ، المصدر نفسه ، شذرة 15 ، ص180.

[2]) المصدر نفسه ، شذرة 5، ص .ص 66.55.

[3]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، ص 721.

يسميه نيتشه ، ضمن أحاديث زراردشت (ما فوق الإنسان) "[1] ، لقد انتقلت رؤية الفن النيتشاوية من الرائع الذات (العقلانية الديكارتية) و الحديثة الكلاسيكية إلى رائع الفن التراجيدي " فمع نيتشه يخرج الفن عن طوره و عن طور الإنسان الحديث و عن طور عقل التنوير بكل الوعود التي بشر بها ، على نحو اعتبره نيتشه مسيحيا في جوهره ، يحمل اللعنة عن الحياة " [2] . إن نيتشه يتخذ من الفظيع موضوعا للفن أي أنه استدعى التراجيديا بوصفها شيء جمالي ، فكيف يمكن أن نتخذ من الفظيع موضوعا للفن ؟

2- اجتماع الفظيع و الفن

إن الرائع النيتشاوي يرتبط **بديونيزيوس** رمز كل مأساوي و جمالي و فظيع ذلك أن **باخوس**[3] ولد ولادة مأساوية " كما جاء في الأساطير اليونانية ، شخصية أسطورية ، ولد من رماد ، أمه **سيميلي** بعدما طلبت من زوجها **زيوس (Zeus)**[4] إله الآلهة أن يظهر لها في كمال مجده و هو طلب مفخوخ دبرته الألهة **هيرا**[5] ، و لما حاول زيوس ذلك إلى صاعقة أحرقت سيميلي ، و من رمادها ولد ديونيزيوس و بهذه الطريقة التراجيدية ولد باخوس و تكفلت أرواح الغابات و ربات الفنون بتربيته و تنشئته إلى جانب كائن اسمه **سيلين** (Silene) الذي عاش معه حيث كانا يعلمان الناس زراعة الخمور و ممارسة النشوة و يفرض على الناس الاحتفال على شرفه فيبدأ الغناء و الرقص و العويل "[6] ، فالمأساة تظهر منذ البداية مع باخوس في طريقة ولادته ، ثم تليها المرحلة الثانية و هي التناقض الحاصل فهو بالرغم من ولادته بطريقة مأساوية إلا أنه يحي حياة ترف و سكر و جنون. و يرتبط ديونيزيوس بـ **أبولون**

---

[1]) أم الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ،جداول ،الكويت ،(ط1)، ،2011 ص .ص103.104.

[2]) المرجع نفسه ، ص105.

[3]) اسم ثاني لـ ديونيزيوس.

[4]) حاكم العالم و رئيس سائر الإله .

[5]) زوجة الاله زيوس رب الأرباب .

[6]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص .ص .145 146.

أيضا باعتباره طرفا في الفن الذي دعى إليه نيتشه يقول : " دعونا نتزود بالمعرفة التي أحرزناها حتى الآن . سوف أركز تفكيري ، خلافا لكل الذين يستنتجون الفن من مبدأ وحيد ، من نبح الحياة الضروري لكل عمل فني ، على أعظم قديسين لدى اليونان القدماءوهما أبولو و ديونيزيوس"[1] . أبولو إذن يرمز للعلم و الرزانة و التأمل و الهدوء في حين يرمز باخوس للسكر وغياب العقل وهما في الحقيقة رموز ميتافيزيقية يعبر من خلالها نيتشه عن أصل الإبداعات الفنية فالتراجيديا " لا تنبع من الحزن و الاكتئاب و المشاعر الارتكاسية المحبطة ، إنما تولد من اللذة و من العنفوان و البأس ، من العافية الفياضة و من الجمال المفرط "[2]

لقد خرج العالم عن مساره الصحيح حسب نيتشه ، لأنه تخلى عن ما يسمى بالمأساة و التراجيديا و السبب كل السبب ، يعود إلى الفلسفة السقراطية الأبولونية ، لكن نيتشه يرفض أن يظل العالم تائها بعيدا عن مساره ، بل لابد عليه أن يعود إلى طريقه الحقيقي ، إلى الحياة ما قبل السقراطية ، كيف يمكن عودة العالم أو الوجود إلى حقيقته ؟ يجيب نيتشه أن الفن وحده هو من يمكنه أن يصنع هذا ، لكن ليس أي فن . فقط التراجيديا اليونانية من يمكنها صنع هذا ، "*إنه الفن بوصفه* ***تدجينا للفظيع*** *، و انتصارا عليه بموسيقى باخوس التراجيدية ، يقول نيتشه فلنكن ـ إذن ـ قادرين على حفظ الواقع*[3]" لكن كيف سنحافظ على هذا الواقع ، ربما بالعودة إلى أصله و موطنه إلى عالم باخوس و هوميروس ، لقد ماتت التراجيديا إذن، لكن لابد من إحياءها . فهي "ماتت في الخطى التي خطاها أسخيليوس مبتعدا عن عالم هوميروس بإتجاه عالم المحاورة الأفلاطونية ، (..) إن القرت الرابع ق.م لم يقدم بالفعل تراجيديات ، يمكن أن توضع في مرتبة ، كما أن التراجيديا الرومانية لا تنتمي إلى مرتبة تراجيديا القرن

[1]) فريدريك نيتشه ، مولد التراجيديا ، المصدر السابق ، ص 189.

[2]) ام الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ، المرجع السابق ، ص 113.

[3]) المرجع نفسه ، ص 115.

الخامس ق.م ، و ليست هناك حقا تراجيديا تنتمي إلى هذه المرتبة طوال ألفي عام اللذين أعقبا وفاة يوبرديس و سوفوكليس في عام 406 ق.م "[1] .

سيستدعي نيتشه التراجيديا اليونانية ليكيفها مع العصر ، هذا العصر الذي ينبغي أن يتجاوز الفن الكلاسيكي يقول في كتابه الفجر عن الجمال الموافق للعصر : إذا أراد ناحتونا و فنانونا و موسيقيونا أن يجسدوا روح هذا العصر فسيكون عليهم أن يظهروا لنا الجمال متضخما ، وهائلا وعصبيا : تماما كما كان الإغريق ، في ظل إكراه أخلاق الاعتدال ، يرون الجمال متجسدا في تمثال أبولون. لا شك أننا نعتبره ، على العموم قبيحا و لكن الكلاسيكيين المغرورين بعلمهم جردونا من كل صدق " [2] ، نيتشه يرى بأن فناني العصر الحديث يحبذون الوقوف إلى جانب أبولون ضد باخوس و هو الأمر الذي لا يعجب نيتشه بل الأكثر من ذلك أنهم تبنوا الفن الرومانسي الذي وصفه **بالمخنث** ، فقد تخلى فاجنر في نظره عن التارجيديا لصالح الدراما و مقاصد أخرى ، يقول في إرادة القوة :" إن جزعي يبلغ مداه ، الأسلوب الدرامي في الموسيقى ، و هو التخلي عن كل الأساليب (التراجيدية) بحجة أن هناك ما هو أهم ألف مرة من الموسيقى (..) يعرف **فاغنر** كيف يرسم ، و يستخدم الموسيقى ، ليس ليقدم لنا الموسيقى بل ليؤيد مواقفه ، أنه شاعر: و أخيرا استنجد بـ المشاعر الجميلة و بـ الأفكار السامية ، كسائر الفنانين المسرحيين ـ بكل هذا كسب النساء في صفه و كذلك الذين يريدون تربية عقولهم : و ما علاقة هؤلاء بالموسيقى ؟ كل هؤلاء لا وعي لهم بالفن ، ولا يتألمون حين تداس كل مزايا الفن الأساسية بالأرجل و يتم احتقارها لصالح المقاصد الثانوية "[3] ، فالفن في نظر نيتشه تعبير عن الحياة ذاتها ، لإن الإصرار على معرفة الحقيقة يحيلنا إلى العدم و الجمود ، اضافة إلى هذا فالفن يتعدى كونه نشاط خاص بالإنسان الفنان فهو

[1]) والتر كاوفمان ، التراجيديا والفلسفة ، المرجع السابق ،ص. ص 213.211.

[2]) فريدريك نيتشه ، الفجر ، تر: محمد ناجي ، إفريقيا الشرق ،المغرب ، (د ط)،2013 ، شدرة 161، ص 121.

[3]) فريدريك نيتشه ، ارادة القوة ، المصدر السابق ، ص 53

وسيلة للتعبير عن الحياة و إثباتها ، فهو يريد العودة إلى العصر التراجيدي ليتجاوز به الفن المنمط و المؤطر بالفكر المسيحي الذي راهن كثيرا على الأخلاق المسيحية تلك الأخلاق التي وصفها بأنها " **غير أخلاقية** "[1] ، لذا يعد نيتشه بـ " بمجيء عصر تراجيدي . سيولد الفن الأرقى للاستجابة الإثباتية للحياة تراجيديا من جديد" [2] ، فالفن مع نيتشه جاء بدل الدين و الأخلاق من أجل الرفع من قيمة الوجود الإنساني .

يقترن الفن النيتشاوي بالفظيع و بالمأساوي و الحروب ، لكن السؤال كيف يلتقي الفن الفظائع و المآسي الإنسانية ؟ يمكن أن تبرر تلك العلاقة بين المأساوي و الإستاطيقي بعودة نيتشه إلى التراجيديا اليونانية و اشادته بها ، "*لقد كانت تلك التراجيديا اليونانية مسرح حرب بين الآلهة ، حيث تتصارع هذه الأخيرة على الألوهة و الحياة و النفوذ و البشر معا*[3] ، *هذا الصراع الذي ينطلق منه نيتشه متجاوزا به الفن المسيحي ، و محولا وجهة* ***الإستطيقا*** *الحديثة من مبحث في الذوق و الجمال و الفن و الآثار الفنية، إلى موطن ولادة التراجيديا في عنفوان* ***الإرادة الهلينية*** *بوصفها إرادة الحياة ، وإرادة تأله و إرادة فن معا*"[4] ، فقصص خلق تلك الآلهة و العالم و مثال باخوس تمتاز بالمأساوية فغيرة الآلهة **هيرا** من سيميلي تلك الإنسانة العادية التي أحبت زيوس إله جميع الآلهة و البشر وطلبت منه أن يظهر لها كاملا فأحرقها و من رمادها ولد باخوس ، فالصراع لم يشمل البشر وحدهم بل كان متبادلا بين الآلهة و البشر أيضا و بين الآلهة نفسها أيضا ، ذلك الصراع كان " مشحونا بالعبثية و التناقض و الآلام الكونية (..) إن التراجيديا اليونانية ترسم ملامح نماذج من البشر المخصوصين ، هذا النموذج الذي سيغدو هو أجمل

---

[1]) فريدريك نيتشه ، ارادة القوة ، المصدر السابق ، ص 147.

[2]) أم الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ، المرجع السابق ، ص 115.

[3]) للملامسة هذا النوع من الصراع في التراجيديا الإغريقية ، يمكن العودة لـ إلياذة هوميروس التراجيدية التي يتصارع فيها الآلهة و البشر على حد سواء .أبرز أبطال الأسطورة هم أخيل و أجمانون اللذين تصارعا على تركة حرب طروادة.

[4]) أم الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ، المرجع السابق ، 126.

النماذج و **أشدها بأسا وأجدرها بالحياة** ، لأنهم عرفوا كيفية تحمل عبثية الوجود و كيفية تبريره فالتراجيديا أبطالها الخرافيون هم اللآلهة ، لكن شخصياتها و وقائعها الرمزية بشرية تماما ، إن أشد ما أعجب نيتشه لدى الإغريقيين التراجيديين هو إرادة الحياة"[1].

إن سبب العودة النيتشاوية للفن التراجيدي هو تجاوز العدمية الغربية فهو القوة " الوحيدة التي أن تعلو على نكران الحياة ، أي على مذاهب المسيحية و البوذية و العدمية فهو الملجأ الذي يقف بنظره على طابع الوجود الفظيع و الإشكالي "[2] فهو بـ لجوءه للفن التراجيدي فإنه يقول نعم للحياة و لا لنكرانها هذا الفن باعتباره ميتافيزيقا بديلة عن الأخلاق و الدين لن يتسم بالطابع الثباتي الذي يجمد الحياة ، إنما يرى نيتشه أن الفن هو الحياة ذاتها و بواسطته يقضي على كل عدمية واجهت الحياة :(سقراط ، أفلاطون المسيحية ، الحداثة..) فليمت الفن الحديث فن الإنسان الأخير الفن الذي شكله سقراط ، ولينمو الفن التراجيدي الجميل الذي هو ناتج عن القوة لا الإستكانة البعيد عن كل مظاهر الانحطاط .إن الداعي إلى هذا الفن هو نيتشه من أجل ماذا ؟ من أجل تجاوز الإنسان الحديث الواهن ، نحو ماذا ؟ نعم نحو الإنسان الأسمى و الوحيد الذي يمكنه أن يتبنى هذا النوع من الفن فن الحرب و الحياة المؤمن بفلسفة "**ما لا يقتلني يقويني**" فالصراع في الفن التراجيدي لا يعدم الحياة ويجعلها تشاؤمية كما يرى شوبنهاور ،إنما يتحداها الإنسان ليتجاوزها بالإنسان الجمالي متجسدا في السوبرمان . " إن مقاومة نيتشه لنموذج الإنسان المسيحي يدخل ضمن رفضه لنموذج الإنسان المنحط بعامة و هو الإنسان الذي لا يؤمن بالحياة و لا بالأرض إنما بعوالم وهمية كاذبة . ذلك أن نموذج الإنسان الديني لدى نيتشه هو نموذج الفاشل ، لم يعلن على موت الإله إلا من أجل فسح المجال أمام نوع جديد من **الإنسان هو الإنسان التراجيدي** . إنها ولادة

[1]) أم الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ، المرجع السابق ، ص 127.

[2]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، مرجع سابق ، ص 723.

الإنسان الرائع بوصفه ما فوق الإنسان نفسه "[1] و لكي يصل التراجيدي إلى الإنسان الأعلى عليه أن يمر على الدروب العسيرة و الصعبة و الوعرة التي مر عليها زارادشت .

[1]) أم الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ، المرجع السابق ، ص 140.

الفصل الرابع

المبحث الأول : الإنسان الأعلى

قامت الفلسفة النيتشاوية على عملية هدم للفلسفة الكلاسيكية و من ثم اعادت عملية بناء جديدة مبدأها ارادة القوة ، وغايتها تجاوز الانسان " لقد شارك نيتشه في تحويل الفكر الحديث من ميتافيزيقا العقل بعد موت هيغل الى ميتافيزيقا الجسد و الارادة والدوافع " [1] ومن بين ابرز نتائج هذه الفلسفة هو ظهور عدة مصطلحات من ابرزها مصطلح الرجل المتفوق او السوبرمان (الانسان الاعلى) .

" لقد ورد مصطلح **الانسان الاعلى** في مؤلفات نيتشه المبكرة الا انه يميز مؤلفاته المتأخرة على سبيل المثال في كتابه هكذا تكلم زارادشت "[2] يقول نيتشه " **انني ات اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادي الا كائن يجب ان نفوقه ، فماذا اعددتم للتفوق عليه ؟**[3] ، رغم ان مصطلح الانسان الاعلى قد اقترن بالفيلسوف نيتشه غير ان الحقائق التاريخية تثبت بان المصطلح سابق له "فلقد ورد اللفظ في كتابات لأحد المفكرين الساخرين اليونان وهو لوسيان (120-180م) ونيتشه كـ **فيلولوجي** كلاسيكي درس لوسيان، و اشار اليه في عدة مرات في كتاباته الفيلولوجية ، كما ورد لدى **جيته** في فاوست (الجزء الاول السطر 49) حيث تحتقر النفس فاوست المخيف الذي سحرها واطلق عليها اسم الانسان الاعلى "[4] غير أن المصطلح مع نيتشه اخذ معنى مغايرا حيث يقترن السوبرمان مع فكرة **ارادة القوة** ارتباطا وثيقا اذ يستحيل ان يكون الانسان الراقي الذي يدعوا اليه نيتشه فيلسوف القوة انسانا وضيعا وهينا.

---

[1]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 8.

[2]) ص 192 المرجع نفسه.

[3]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، مصدر سابق ، ص 33.

[4]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 193.

1. **السوبرمان**

"اصطلاح عنى به نيتشه ضربا من الطراز البشري اعتدلت طبيعته و استكتملت قوته ، أوجده ليعارض به الإنسان الأخير من حيث هو الإنسان الحديث أو الإنسان الطيب أو الإنسان العادي الذي نادى به المسيحيون و العدميون ، إن الإنسان الأعلى هو الطراز المعارض للمثل القديمة أي طراز الناس المتجاوز سالف التقويمات " [1] ، فغاية غايات إنسان الأعلى هو تجاوز الإنسان الأخير الذي يصفه بالحقير يقول نيتشه : " **سأخاطبكم عن أحقر الكائنات ، عن الإنسان الأخير**"[2]. ، فالإنسان الأعلى غايته تجاوز العدمية من حيث هي إحدى مخلفات الإنسان الحديث الذي ورث كل معاني الإرتكاس السقراطية و المسيحية و العقلانية ، و يحذر نيتشه من أن يسود زمن الإنسان الحديث أو الأخير فيقول " **الويل لنا لقد اقتربت الأزمنة التي لن يفوق الإنسان فيها سهام شوقه محلقة فوق البشرية** "[3] .

2. **صفاته**

إن السوبرمان يحيا ضمن اطار مغاير لإنسان العادي ما جعله يختلف عن البشر العاديين ، فما هي هذه الصفات و الاطر التي يا ترى ؟.

1- تمجيده للجسد : سبقت الاشارة الى ان الفلسفة النيتشاوية قلبت القيم ، فبدل ان تعلو الروح على الجسد ، كما كان مع الفلسفات الكلاسيكية ، آن الاوان لان تقوم ميتافيزيقا جديدة قائمة على مبدأ الجسد ، الذي يقدسه و يعلي من شأنه ولا يضعه موضع الحضيض ، يقول نيتشه وهو يؤكد ان صفة من صفات الانسان الاعلى هو اعلاءه وتعظيمه لشأن الجسد قائلا : " **لقد كانت الروح تنظر فيما مضى الى الجسد نظرة احتقار ، فلم تكن حينذاك من مجد يتطاول عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد**

---

[1]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 657.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص 36.

[3]) المصدر نفسه ، 36

ناحلا قبيحا جائعا ، متوهمة انها تتمكن من الانعتاق منه ومن الارض التي يدب عليها (..) أفليست روحكم ، ايها الاخوة ،مثل هذه الروح ؟ افما تعلن لكم اجسادكم عنها انها مسكنة وقذارة وانها غرور يسترعي الاشفاق ؟ تعلموا من الانسان الاعلى " [1] . فالإنسان الأعلى النيتشاوي تجاوز مسألة الروح بل يرى أن الروح ليست سوى جسدا يقول : "**إن اداة جسدك هي أداة عقلك الذي تدعوه روحا**" [2] .

- **لا لـ اهمال الغرائز و الشهوات :** إن سيطرة الفلسفات المثالية المفارقة للجسد بما فيه من غرائز و شهوات ثم تلتها الفلسفات الدينية الروحية (المسيحية) على وجه التحديد و التي حجمت من الغرائز الإنسانية و الملذات ونظرت لها نظرة احتقار ، إن هذه الفلسفات لم تعبر حقيقة على الإنسان والإنسان الأعلى على وجه الخصوص لأنها أنكرت أبسط حق من حقوقه البشرية والتي آن له أن يفتكها يقول نيتشه : " **لقد أهمت المسيحية الأيروس [3]، لم يمته ذلك و لكنه صار فاجرا** " [4] و مقصد نيتشه من هذا أنه يستحيل قتل البيولوجيا لأنها ستظل تعمل مهما قاومها الإنسان و الأديان ، فالعفة في نظره ليست بشرط فضيلة لأنها أحيانا تتحول إلى رذيلة من الرذائل كونها تكبح احدى الحقوق الطبيعية " **ما أنا المشير عليك بالعفة لإنها اذا كانت فضيلة في البعض فإنها لتكاد تكون رذيلة في الآخرين . ولعل هؤلاء يمسكون عن التمتع ، غير أن شبقهم يتجلى في كل حركة من حركاتهم** "[5] . يرى نيتشه أن هذه الغرائز و الشهوات فضائل و ليس خطايا أو دنس " لقد كان فيما مضى شهوات كنت أحسبها شرورا، أما الآن فليس فيك إلا الفضائل ، وقد **نشأت هذه الفضائل من شهواتك نفسها** ، لإنك وضعت في هذه

---

[1])) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرارذشت ، المصدر السابق ، ص 32

[2]) المصدر نفسه، ص 54

[3]) ايروس Eros: ايروس اله الحب عند اليونان . و ايروس هو الحب أو الرغبة الجنسية الشديدة (جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 1 ص 183.)

[4]) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، مصدر سابق ، شذرة 167، ص 88.

[5]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ، ص 74.

الشهوات أسمى مقاصدك فتحولت فيك إلى فضائل و ملذات هي منك و لك ، و لسوف ترى جميع شهواتك تستحيل إلى فضائل ، و لسوف ترى كل شيطان فيك يستحيل ملاكا ، حتى لو كنت ممن يستسلمون للغيظ و الشهوات و كنت من فئة الحاقدين المتعصبين (..) لن يخلق منك شرا بعد الآن غير أن هناك شر قد ينشأ من تخاصم فضائلك "[1]، فتجاوز الشهوات في نظر نيتشه هو خطيئة لابد من محاربتها لأنها تؤدي إلى خلق الضغائن و تولد الكبت ، وإنما يحي الإنسان فقط بفضائله ورغباته ف" **فليس الإنسان إلا كائنا وجب عليه أن يتفوق على نفسه ، لذلك حق عليك يا أخي أن تحب فضائلك لإنك بها ستفنى** "[2].

- **الانسان الاعلى يرفض الاله** : ترتبط بالفكرة اليوتوبية النيتشاوية (الانسان الاعلى) بـ فكرة موت الاله، فالفلسفة النيتشاوية تتسم بنوع من النسقية في ترابط الافكار ، رغم انه فليسوف يرفض النسقية والمثل ، فـ هاهو ذا "كارل ليويث يؤكد ان فلسفة نيتشه عبارة عن **منظومة جوامع كَلِم** "[3]، وهذا راجع الى التشعب والتفرع الذي تمتاز به الفلسفة النيتشاوية حيث ان مبدأ مثل ارادة شمل ولامس جل الفلسفته ، كذلك فان فكرة الانسان الاعلى تجمعها علائقية مع فكرة موت الاله ، يقول في هذا الصدد : "**ايها الرجال الراقون ،تعلموا مني قولي : لا يؤمن احد في الساحة العمومية بالإنسان الراقي ، واذا شئتم ان تتكلموا على هذه الساحة كما تشتهون فان العامة تتغامز قائلة :" اننا جميعا متساوون " ، ايها الرجال الراقون ان طبقة الشعب تنكر الانسان الراقي فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم انسانا واحدا امام الله** "[4] .

فإذا ما كان سبب الدعوة الى المساواة والى شيوع حياة انسان القطيع هو الله فان الله قد مات كما ماتت معه المثل العليا ، وحطمت معه الاصنام ايضا ،ففي نظر نيتشه فان " (فكرة الله تعبر عن العدم

---

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص 57.

[2]) المصدر نيتشه،57.

[3])بيير بودو ، نيتشه مفتتا ، تر: اسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان،ط1 ، 1996،ص 137 .

[4]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، مرجع سابق ، ص .ص 141.140 .

لأنها تحط من قيمة الحياة) وهذا يفسر طرديا بين وتدني الحياة فالدين هو السبب في احتقار الانسان للحياة وليس الانسان نفسه "[1] لذا تم تجاوز الدين فالإنسان الاعلى لن يخضع للمبادئ الاخلاقية الموروثة ، فالعالم بالتصور النيتشاوي عالم انسحب منه الله ، و اصبح مركزه الانسان وبالتحديد الانسان الاعلى .

- **الانسان الاعلى ليس شفوقا** : ان من سمات السوبرمان انه ليس انسانا ضعيفا ، فهو يمقت الشفقة والرحمة ، فلا يقبل ان يشفق عليه احد او يشعر شخص اتجاهه بـ الرحمة ، غير ان هذا لا يعني ان الانسان الاعلى "مجرد من الاحاسيس والمشاعر والعواطف فهو ليس انسانا متوحشا ، بل ان كل ما هنالك ان السوبرمان ارتفع عن كل الالام "[2]

و اضافة الى السمات السابقة يمكن ان نظيف سمات اخرى نوجزها في نقاط على التوالي :

- "الانسان الاعلى لا يعيش حياة الهدوء والسلم ، فالحياة بالنسبة اليه حرب فالحياة بالنسبة له محفوفة بالأخطار .
- الانسان الاعلى ليس ضعيفا و لا يمكنه ان يكون كذلك البتة . بل هو انسان تجاوز الانسان الاخير (الانسان الحديث)"[3]
- الانسان الاعلى لا يهاب الموت ولا يخشاه بل يجابهه ويختاره .[4]
- الإنسان الأعلى إنسان جمالي بامتياز، كونه قوم الأشياء و أولى الاهتمام بالفن و اعتبره الحياة ذاتها ، و متجاوزا بواسطته الإنسان الأخير.

[1])عبد الله عبد الهادي المرهج ، فلسفة الدين : نقد الفكر الديني في فلسفة نيتشه، المرجع السابق ، ص 152.

[2]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ،ص 210.

[3]) عبد الله عبد الهادي المرهج ، فلسفة الدين : نقد الفكر الديني في فلسفة نيتشه، المرجع السابق ، ص212.

[4])فريدريك نيتشه ،هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ، تخير الموت .

المبحث الثاني: هوية الإنسان الأعلى

لقد سبق و أن عددنا صفات الإنسان الأعلى ، الذي قام على أنقاض الإنسان الأخير ، حيث يظهر هذا الإنسان في المرحلة التي يتجاوز فيها الإنسان نفسه ، و ذلك في إشارة نيتشه بأن الإنسان العادي ما هو إلا طريق نحو السوبرمان إذ يقول " **ما الإنسان إلا حبل منصوب بين الحيوان و الإنسان المتفوق ، فهو حبل مشدود فوق الهاوية** " [1]

حتى الآن تمت معرفة أبرز سمات الإنسان المتفوق ، لكن أليس جديرا بنا معرفة من هو الإنسان المتفوق ؟ ما هي هويته ؟ من يكون ؟ فيما يتجسد ؟ هل هو زارادشت ذلك النبي الشرقي ؟ أم دوزينيوس الإله الراقص ؟ أم أنه فريدريك نيتشه نفسه صاحب هذه الفلسفة ؟ ألا يمكن أن يمثل الإنسان الأوروبي الغربي ؟ أو ربما الألماني على وجه التحديد ؟ هل هو الرجل الجمالي الفنان الذي تخطى العدمية الأوروبية و رجلها الأخير ؟ أم هو الإنسان المقوم بشكل مجمل ؟

الحقيقة أن نيتشه لم يجب عن هوية هذا الإنسان و لم يحدد من هو أيضا بل اكتفى بتعديد صفاته و مزاياه و اختلافه عن باقي البشر و جعله بديلا عن الآلهة بعدما أعدمها جميعا ، فهل عدم إفصاح نيتشه عن هوية الإنسان الأعلى تحسب له أم عليه ؟

لقد عرف نيتشه بفلسفته الداعية إلى البحث عن أصول الأشياء و ذلك في فلسفته الجنيالوجية حيث كانت له عودة تاريخية نقدية في مسألة القيم ، فنيتشه كان يرفض السطحية التي انتهجتها الفلسفات الكلاسيكية ومن ثمة تبنى علم النسابة و هذا من أجل العودة إلى أصول القيم لدراستها و ذلك بالعودة أولا :إلى **تاريخها** ثم **نقدها** و أخيرا **قلبها** و البحث عن بديل لها ، غير أن الملاحظ على نيتشه أنه لم يغص في مسألة و تحديد ماهية الإنسان الأعلى رغم أن فلسفته تتبنى التقصي و الغوص في عمق الأشياء و هذا الأمر حقيقة يتناقض و فلسفته الجنيالوجية التي تعود إلى الأصول و تتحرى فيها ، و هذا

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ، مستهل زرادشت 3، ص 24.

الأمر يحسب على الفلسفة النيتشاوية باعتبارها فلسفة تحارب السطحية . لكن إذا ما نظرنا من زاوية أخرى في مسألة عدم إفصاح نيتشه عن هوية الإنسان الأعلى فإنه يحسب له ذلك فهو و إن تكلم عن الإنسان الراقي كاكتمال يوتوبي لم يُتْمم هذا الاكتمال بجعل جزء منه مجهولا ، وغير معلن عنه ، أي رفض مسألة اكتمال الخاصة بالإنسان الأعلى من خلال عدم وضع هذا النموذج في إطار واحد و قالب نهائي ، ذلك أن الاكتمال تابع في حقيقته إلى فلسفات النسق الكلاسيكية و المعروف عن نيتشه أنه ضد النسق و الأنظمة يقول في كتاب أفول الأصنام :" **أحتاط من صانعي الأنظمة و أتحاشاهم . إن روح النظام نقص في النزاهة** "[1] .

إن عدم تعين هوية الإنسان المتفوق من قبل نيتشه تحرره من بعض الاتهامات الموجهة له خصوصا منها تلك التي تقول أن نيتشه روج لـ الأنظمة الاستبدادية والشمولية بفلسفة القوة والإنسان الأعلى ، فعدم التصريح بـ من هو السوبرمان تحديدا ؟ حرر فلسفته من الانغلاق وفتح لها أبواب التأويل الآ متناهية ، فلم تعد منغلقة و متجمدة ، و بهذا تصبح جل النظريات التي تتهم الفلسفة النيتشاوية بالتعصب لجنس ما و اعتباره الأكمل دون غيره إنما هي مجرد قراءة تدخل ضمن العديد من القراءات و التأويلات التي لا شأن لنيتشه فيها ، سوى أن فلسفته فُهِمت على هذا النحو ، فالنازية لما اعتبرت نفسها تجسد الفلسفة النيتشاوية ليس لإن نيتشه عبر صريحا عن هذا و إنما لأنها إحدى القراءات فقط .

بعد أن اتضح حال الإنسان المتفوق من حيث أنه ليس متعينا أو محددا في جنس أو شخص ما يمكن آن تميزه عن غيره من البشر، حتى يتسنى لنا معرفته فهو و إن لم يكن محددا فأنه مختلف عن :

[1]) فريدريك نيتشه ، أفول الآصنام ، المصدر السابق ، شذرة 26، ص 12.

1- الإنسان الأعلى ليس هو الإنسان الأخير

يقترن اسم الإنسان الأخير بالعصر الحديث فهو الإنسان الذي تحيط به و بعصره سمات العدمية وهذا الإنسان الذي و صفه نيتشه بأنه أحقر الكائنات فهو ليس" سوى قرد بل أعرق من القرود في **قرديته** "[1] و يحذر منه نيتشه من أن يسود لكونه أطول الكائنات عمرا يقول : " ويل لنا ، لقد اقتربت الأزمنة التي لن يدفع الإنسان فيها بالكواكب للعالم . ويل لنا لقد اقترب زمان الإنسان الحقير الذي يمتنع عليه أن يحتقر نفسه ، اسمعوا ها أنا ذا منبئكم عن الرجل الأخير إنه من يقف متسائلا عن نفسه فلا يعلم أمحبة هي أم ابداع أم تشوق ، أم توهج كوكب وستصغر الأرض في ذلك الزمان ، فيطفو على سطحها الرجل الأخير الذي يحول إلى حضارة كل ما يدور به ، إن سلالة هذا الرجل لا تباد ، فهي أشبه بالبراغيث ، و الإنسان الأخير أطول البشر عمرا "[2] هذا الإنسان هو يمثل عهد الحداثة و الحضارة الغربية العدمية ، و العصر الذي بعده هو عصر ما بعد العدمية و عصر الإنسان المتفوق و الراقي ، " أي عصر محاربة آثار العدمية و مخلفاتها ، فالإنسان الأخير يمثل " مرحلة و جنوحا"[3]

2- الإنسان الأعلى ليس هو الإنسان التطوري بمفهوم داروين: يقول ويل ديورانت في كتابه قصة الفلسفة الحديثة أن نيتشه طفل داروين وأخ لـ باسمارك ، فقد تأثر كثيرا بنظرية التطور و أتباعها ، فقد استخدم بعض الكلمات أو النظرية الداروينية كاستعارة ، يقول نيتشه : " **لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى ، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته** " [4] ، بيد أن نيتشه لم يسلم بالنظرية الداروينية و لم يكن الإنسان الأعلى الذي دعى له نتاجا لهذه العملية التطورية " فقد اعتبر فكرة النزاع من أجل البقاء فكرة قاصرة على نحو ما ، و يرى نفسه خصما للداروينية ، لأنه يحل النزاع من

[1]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 293.
[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص 36.
[3]) المصدر نفسه ، ص 241.
[4]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، المصدر السابق ، ص 32.

أجل البقاء محل النزاع من أجل القوة ، و يرى أن المفهوم الأخير مفهوم فقير مزيف إذا ما قارناه بمفهوم إرادة القوة "[1]

3- الإنسان الأعلى ليس رجلا يكترث لما وراء الخير و الشر : تعتبر الأخلاق خاصية بشرية و بعدا إنسانيا فهي تخص الجنس البشري على حد تعبير كانط الذي يرى أن الأخلاق لا تصلح لنا إلا من حيث أننا كائنات عاقلة ، فالإنسان و منذ عصور سحيقة قام بابتكار قيم أخلاقية كان يرى أنها صالحة لكل زمان و مكان بمعنى أنه أقر بمطلقيتها ، غير أن نيتشه لا يرضى بهذا المنطق بل يقلبه فالأخلاق في نظرية لا تتسم بالمطلقية ما دام الإنسان واضعها و مشرعها ايضا ، فقد شكك في التقيم السابق و دعى إلى ضرورة إعادة هذا التقيم قائلا : "بماذا تؤمن ؟ بهذا : يجب من جديد تحديد وزن الأشياء " [2] نيتشه " تكلم في مواضع عدة عن نسبية القيم و الأخلاق ، مؤكدا أن كل شعب قد اعتنق لوحة مختلفة من القيم و أنه وجد ألف غاية و هدف ، وليس للإنسانية من هدف واحد أو أخلاق عامة (حتى هذه اللحظة لم يوجد سوى ألف غاية لأنه لم يوجد سوى ألف شعب ، و نحن نفتقر إلى الرباط بين آلاف الرقاب ، نفتقر إلى الهدف الواحد ، فالإنسانية لم تزل بلا هدف) و نيتشه يتخلص من هذه الثغرة الأخلاقية عن طريق **فكرة الإنسان الأعلى** الذي يمثل هدف الإنسانية الوحيد " [3]

[1]) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ، 203.

[2]) فريدريك نيتشه ،العلم الجذل ، المصدر السابق ، شذرة 269، ص 149.

[3]) صفاء عبد السلام علي جعفر ،محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، المرجع السابق ، ص 207.

4- علاقته بعالمنا :

- **الانسان الاعلى هو ابن الارض** : ذلك ان نيتشه لا يحتقر الحياة كما و سبق أن فعلت الفلسفات المثالية أو الديانات العدمية (المسيحية والبوذية) ، إنما دعى إلى مباركة الحياة في هذه الأرض و التشبث بها، لذلك يقول نيتشه :"**لقد لأتيتكم بنبأ الانسان المتفوق .انه من الارض كنه الارض . فلتعلن ارادتكم : ليكن الانسان الاعلى هو معنى الارض** . [1] و يحتقر نيتشه المستهزئين بالحياة الارضية والداعيين الى ما رواء هذه الحياة فيقول : " **اتوسل اليكم ايها الاخوة ان تحتفظوا للأرض لإخلاصكم فلا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها** ، انهم يعللونكم بالمحال ، فيدسون لكم السم ، سواء أجهلوا ام عرفوا ما يعملون ، اولئك هم المزدرون للحياة ، قد رعى السم احشاءهم فهم يحتضرون ، لقد تعبت الارض منهم فليقلعوا عنها [2] ، فالإنسان الأعلى هو ذلك الإنسان الأقرب إلى الحياة ، إن الرؤية النيتشاوية ثاقبة ذلك أن السمو نحو الأعلى لا يتجسد في نظره إلا إذا ما تعمق الإنسان وتشبث بالأرض و العمق ، يقول نيتشه في هذا الصدد :" **أليس الإنسان إلا للدوحة حالة واحدة ؟ فكلما سما الإنسان إلى الأعالي إلى مطالع النور ، تذهب أصوله غائرة في أعماق الأرض** "[3] فالإنسان الأعلى موطنه الأرض فعالمه عالم الإنسان العادي و الأخير ، غير أنه يتجاوزهما فهو لا يستهزئ بالعالم الأرضي كما يفعل الإنسان الحديث ، ذلك الإنسان الذي لابد من تجاوزه ، ليس فقط لأنه سبب في العدمية بل لانه أيضا أفسد الحياة حسب نيتشه إذ يرى أن: "[4] إن الأرض مكتظة بالدخلاء و قد أفسدوا الحياة ، فما أجدرهم بأن تستهويهم الحياة الأبدية ليخرجوا من هذه الدنيا " فقد إعتبر نيتشه هذا الصنف من البشر من

---

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، تر: على مصباح ، منشورات الجمل ،المانيا – بغداد ،2007، (ط 1)، ص43.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، تر: فليكس فارس ، مطبعة جريدة البصير ، مصر ،(د.ط)،1937، ص 32

[3]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، تر: فليكس فارس ، مر: عيسى حسن ، ص 62.

[4]) المصدر نفسه ، ص 65.

المنذرين بالموت و العدم ، " **إنهم يدعون إلى مكابرة الأرض و مجالدتها ، و الأرض صابرة عليهم صبرها جميل**[1] .

[1])) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زراردشت ، المصدر السابق ، تخيير الموت ، ص 91.

المبحث الثالث : الفلسفة المبشرة بالإنسان الاعلى.

1- العدمية أداة لإنتاج الفلسفة المبشرة بالإنسان الأعلى

إن الفلسفة النيتشاوية بوجه عام فلسفة بشرت بقيام و ظهور الإنسان المتفوق ، و هذا انطلاقا من منهجه الجنيالوجي الداعي للتعمق في أصول القيم ، و البحث في تاريخها ، غير أن هذه العملية الفلسفية لم تكتمل إلا في لحظة النقد القيمي للوجود ، فالفلسفة النيتشاوية نقدية بالأساس كما يمكن وصفها بالفلسفة الثورية فهي لم تتجاوز شيء دون أن تصب عليه جام نقدها و طرقها المتتال و المحطم لأصنام على حد تعبيره ، بدأا من الفلسفات المثالية و العقلانية وصولا إلى التركة الأفلاطونية متمثلة في المسيحية ، و انتهاءا بفلسفة العصر الحديث الذي هو عصر الإنسان العدمي .

يرى نيتشه أن الإنسان المقوم و هو الذي يعطي لأشياء قيمتها ، فقد قام " بإنشاء **المثال** ليضاد به الواقع فكان أن أخذ بحفنة يده قيم (العدل) و (الحق) و (الخير) فنفخ فيها منشئا عالما الشأن فيه أن لا يتأثر بعالمنا هذا ـ عالم سيادة القيم المضادة ، من جور و باطل و شر لكن هذا الإنسان سرعان ما اكتشف أفول هذه المثل وأنها كانت أصلا ، قوة مفترية على الحياة و العالم معا ، كما اكتشف أن المثال لم يكن إلا ناتجا عن شروط عيش و ظروف حياة أرادت فئة ما جعلته قانونا و ناموسا للحياة و فرضته بالقوة على الإنسان (..) مما أدى بالعجز عن القوة التأويلية و كانت هذا مدخل إلى العدمية فقد انتهى الإنسان المقوم إلى أن صار إنسانا عدميا "[1] . فالعدمية ظهرت بشكل جلي لما تخلى الإنسان المقوم عن دوره الذي يتمثل في إضفاء المعنى في العالم و منح هذه الوظيفة للوجود نفسه ، فلامست بذلك هذه العدمية جل المجالات الإنسانية سواء العلمية (النزعة الآلية) أو السياسة و حتى الفنية أيضا(شيوع النزعة الرومانسية) .

[1]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، المرجع السابق ، ص.ص ، 568.567.

و يعرف نيتشه العدمية في قوله : *لقد حصل التناقض بين العالم الذي نبجله و العالم الذي نعيشه، الذي نشكله نحن ، و لا يبقى أمامنا سوى أمرين ، إما القضاء على تبجيلنا و إما القضاء على أنفسنا بأنفسنا و هذه الحالة الأخيرة هي العدمية"*[1] ، يرى نيتشه أن العدمية الأوروبية نتيجة لابد منها و لا يمكن الهروب منها أو تجاوزها حيث سلم "بضرورتها التاريخية و النفسية ، من حيث هي النتيجة المنطقية لهيمنة و سيادة القيم العليا للحضارة الغربية ، من قيم و مثل الدين و الأخلاق و الميتافيزيقا وعلم و ديمقراطية"[2] ، يقول نيتشه في هذا الصدد " **العدمية شرط طبيعي** "[3] ، و هي أنواع حسب مؤلف زرادشت نيتشه :

- " بخس قيمة العالم بإسم عالم ثان.
- بخس قيمة العالم الثاني و هذا العالم في آن.
- محاولة للفعل، دون الإيمان بتبرير أخير للفعل في عالم آخر، عبر استبدال القيم الالهية بأساس إنساني ، لكن من دون تغير أي شيْ في تلك القيم بالذات .
- إرادة أفول ، وتمرد و هدم للألواح القديمة ، ملازمة لإرادة بناء ألواح جديدة "[4].

إن العدمية بحسب قراءة جيل دولوز ، " *لا تعني اللا وجود ، بل قيمة عدم أولا ، و الحياة تأخذ قيمة عدم بمقدار ما يجري نفيها ، و الحط من قيمتها. و الحط من القيمة يفترض دائما وهما : فبالوهم نزيف و نحط من القيمة بالوهم نعارض الحياة بشيء ما ، وتصبح الحياة بكاملها وهمية و تمثل كظاهر و تأخذ بمجملها قيمة العدم "*[5]. و على هذا الأساس يعتبر نيتشه نفسه **الفيلسوف العدمي الأول** " فهو

---

[1]) فريدريك نيتشه ، ارادة القوة ، مصدر سابق، ص 11.

[2]) محمد أندلسي ، نيتشه وسياسة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 57.

[3]) فريدريك نيتشه ، إرادة القوة ، المرجع السابق ، ص 13.

[4]) بيار هيبر سوفرين ، زرادشت نيتشه ، المرجع السابق ، ص 153.152.

[5]) جيل دولوز ، نيتشه و الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 189.

الذي جرب العدمية و ذاق مرارتها ، وأحسها واستشعرها في داخله و من حوله ، و من تحته و من فوقه"[1].

" يرى جيل دولوز أن النتيجة المترتبة عن حدث العدمية و هيمنتها على الحضارة الغربية الحديثة هي سيادة **الروح الإنكارية** ، التي يمكن تلخيصها في مبدأ تبخيس الحياة و الوجود ، و هو المبدأ الذي تتأسس عليه فلسفة نيتشه برمتها "[2]، فهذه الفلسفة تنكر الحياة الغربية فقد ساد القلق و التوتر في الفترة التي عاش فيها نيتشه من حيث هي مرحلة انتقالية ، غير أن إنكار نيتشه للحياة و إعلانه بأنه العدمي الأول في أوروبا إنما " **يلخص الهدف من حملته النقدية الهائلة في الإقبال على الحياة** و الحياة عنده أصل كل القيم الفكرية و الأخلاقية ، و هي المبدأ الكامن وراء كل معرفة و كل سلوك ، و السعي إلى قلب القيم البالية و تأسيس قيم جديدة ، و هما المظهران الأساسيان لفلسفة نيتشه " [3]. فنظرته العدمية الناكرة للحياة هدفها فيما بعد تمجيد الحياة ، و ذلك من خلال تبنيه مشروع النقد و إعادة البناء من أجل تجاوز هذه العدمية و هذا النكران لـ الإقبال على الحياة و تمجيدها و قول **نعم لها** ، و هذا عائد إلى أن " مهمة **الفلاسفة المشرعين** الذين **يحددون أهدافا جديدة لـ الإنسانية يحولون العدمية** من ثقلها السلبي إلى العدمية في شكلها الفاعل "[4] .

[1]) محمد أندلسي ، نيتشه وسياسة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 57.

[2])المرجع نفسه ، ص 62

[3]) المرجع نفسه ، ص 63.

[4]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 205.

2-التبشير بالإنسان الأعلى

تتجاوز الفلسفة النيتشاوية مبدأ الثنائية التي تقوم عليه الفلسفات الكلاسيكية مبدأ الخير و الشر مبدأ تعارض المحسوس و المعقول ، " *فنيتشه يرفض التعارض بين الما وراء و المادون ، بين المعقول و المحسوس ، و يصالحهما* " [1] تماما **كـأفعوان** و **نسر** نيتشه إذ يرمز الأول إلى العالم الأدنى العالم الأرضي ، بينما يرمز الثاني إلى العالم الأعلى ، و الجمع بين الثنائيات في فلسفة نيتشه وارد بشكل جلي ، فهو يقول على لسان زرادشت :" **إن آلة جسدك إنما هي أداة عقلك الذي تدعوه روحا** "[2] ، إنها **فلسفة تبشر بما وراء الخير و الشر** .

تُبشر فلسفة النيتشاوية بقدوم الإنسان الأعلى ، تقوم هذه الفلسفة على مبدأ إرادة القوة و هي "عنصر القوة التفاضلي. و ينتج من ذلك تصور جديد لفلسفة الإرادة لا تمارس بصورة غامضة على عضلات أو على أعصاب ، لكنها تمارس بالضرورة على إرادة أخرى ، (..) إن كل شيء يتعلق بإرادة بشيء آخر ، إما ليأمر أو ليطيع ، هذا ما يضعنا على طريق الأصل : إن الأصل هو الاختلاف في الأصل ، و الاختلاف في الأصل هو التراتب ، أي العلاقة بين قوة مسيطرة و قوة مسيطر عليها بين إرادة مطاعة و إرادة مطيعة "[3]. فالفلسفة الداعية لقدوم السوبرمان تقوم في أساسها على التراتب القيمي و هذا من أجل قلب نظرتنا للوجود ، اضافة إلى نقد الإنسان الحديث ، " **فالتحدي الذي يواجهه نيتشه هو القيام بتحويل جذري و كلي للقيم في تأسيس تراتب جديد و في ولادة إنسان جديد هو الإنسان الأسمى على أنقاض الإنسان الأخير ، فهذا النموذج الجديد الذي يبتغي نيتشه تقديمه للإنسانية لا يتحقق ما لم تتحقق مهمة تحويل لقيم الراهنة،** على هذه القيم أن تخلي مكانها لقيم الحياة، و في تقدير نيتشه أن مجاوزة العدمية لا تتحقق إلا بتحويل جذري للقيم تصير بمقتضاه القيم الفاعلة في المرتبة

[1]) بيار هيبر سوفرين ، زرادشت نيتشه ، المرجع السابق ، ص 43.
[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، المرجع السابق ، المستهزئون بالجسد ، ص 54.
[3]) جيل دولوز ، نيتشه والفلسفة ، المرجع السابق ، ص 12.

الأعلى ، و تستولي على القيم ، التي بقيت إلى حد الآن بتوجيه قوى الإرتكاس و الحقد و المثل الأعلى الزهدي"[1]. فالفلسفة المبشرة بالإنسان الأعلى هي الفلسفة المتجاوزة للعدمية فمنها تبدأ عملية التبشير.

3- لغة البشارة النيتشاوية بالانسان الاعلى :

تتسم اللغة النيتشاوية بنوع من الخصوصية ، فهي من النوع الشعري الأدبي ، الذي جاء في شكل شذرات أو فقرات أو حكم ، "[2] وقد ظلت طريقة الكتابة بالفقرات مع نيتشه طوال حياته كما أن لغتها قريبة من الأناجيل، و نيتشه ذاته يصرح بهذا إذ يقول في إحدى رسائله أنه جاء بإنجيل خامس : " إن لدي اليوم خبرا جميلا أزفه لكم : لقد قمت بخطوة حاسمة – أعني بذلك ، وعلى سبيل الإشارة أنها خطوة من المفترض أن تكون مفيدة بالنسبة لكم أيضا يتعلق الأمر بمؤلف صغير بعنوان : هكذا تكلم زارادشت ، كتاب للجميع و ليس لأحد مقطوعة شعرية أو **إنجيل خامس** أو أي شيء آخر لا يوجد له اسم بعد : إنه أكثر مؤلفاتي جدية و جرأة .."[3] وفي رسالة أخرى في نفس السنة يرسل رسالة أخرى يقول فيها : " إنها قصة رائعة لقد تحديت كل الأديان و وضعت كتابا مقدسا جديدا "[4] فالذي يبدوا أن نيتشه يود أن يكون في موضع النبي المبشر الجديد تماما كـ الأنبياء المرسلين ، من خلال زارادشت ، و يرى البعض أن نيتشه يحاول من خلال كتابه هذا قلب الأديان كما أنه يقف الند للند مع المسيح ، "و كأنه يغار من المسيح غيرة شخصية ، فكلماته تحمل أحيانا بذاء أكثر مما تحمل نقدا ، و هو في كتابه "**هكذا تكلم زارادشت**" يقحم الإنجيل و يكذب كلمات المسيح ، و يضع مكانها كلمات أخرى لها نقيض المسيحية و يحاكي

[1]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه و مهمة الفلسفة ، المرجع السابق ، 205.

[2]) بيير مونتيبلو ، نيتشه و ارادة القوة ، المصدر السابق ، ص 11.

[3]) بيتر سلوترديك ، الأنجيل الخامس لنيتشه ، تر: علي مصباح ، كولونيا – ألمانيا ، (د–ط) ، 2003، ص .ص 43.42.

[4]) المرجع نفسه ، ص 43.

أسلوب الأنجيل " [1] ، مثال العشاء الأخير عند المسيح ، و العشاء الأخير في القسم الرابع من كتاب هكذا تكلم زارادشت .

4- بشارة زارادشت

إن لغة البشارة النيتشاوية شبيهة بلغة البشارة الدينية ، حيث يقول نيتشه على لسان زارادشت : "*لقد أتيتكم بنبأ الإنسان المتفوق*"[2] ، و هذا الخطاب يتسم باللغة الدينية أو البشارة ، و قد اختار نيتشه زارادشت عن طوع ، إذ يجيب في كتابه هذا هو الإنسان عن سبب اختياره لـ زارادشت قائلا: "لا أحد يسألني ، و كان على المرء أن يسألني هم يعنيه على لساني ، أي على لسان الآ أخلاقي الأول اسم زارادشت : ما كان يمثل الطابع الفريد الهائل لهذه الشخصية الفارسية عبر التاريخ هو بالضبط نقيض هذا الذي نحن بصدده الآن .

لقد رأى زارادشت في الصراع القائم بين الخير و الشر الدولاب المحرك للأشياء ، إن ترجمة الأخلاق ميتافيزيقيا على أنها طاقة و سبب ، و هدف في حد ذاته لهي من صنيعة (..) لقد **ابتدع زارادشت هذا الخطأ الشنيع** ، الأخلاق، و بالتالي كان عليه أن يكون أول من يعترف بهذا الخطأ "[3] فنيتشه يرى أن زارادشت هو أول من قام بعملية تقويم و جعل العالم قائما على مبدأي الخير و الشر و لابد أن يواجه هذا الفارسي نفسه و يصحح خطأه ، و كأن نيتشه " **اختار زارادشت ، ليضعه في معارضة زارادشت**" [4] .

---

[1]) سلامة موسى ، هؤلاء علموني ، المرجع السابق ، ص 63.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ، مستهل زارادشت 3، ص 32.

[3]) فريدريك نيتشه ، هذا هو الإنسان ، المصدر السابق ، لما أنا أقدر ، ص 155.

[4]) بيار هيبر سوفرين ، زرادشت نيتشه ، المرجع السابق ، ص 32.

و على هذا الأساس اختار **زارادشت** للتبشير عن نموذجه الإنسان الأسمى غير أن هذا التبشير مخالف للمنطق **الزارادشي** القديم ، وإنما خاضع لتعاليم الفلسفة النيتشاوية حيث يقترن هذا التبشير بـ " العودة الأبدية و إرادة القوة ، و ذلك للصلة الوطيدة بين هذين الأخيرين "[1].

يعلن زارادشت في مستهله قائلا: " **إنني آت إليكم بنبأ الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟**[2] ، لكن قبل هذا يتكلم نيتشه بلسان زارادشت في مستهله ، حيث أنه هجر وطنه لما بلغ **الثلاثين من العمر** و ظل في الجبل **وعاش عشر سنوات** يتمتع بعزلته و تفكيره ، أي أنه لما **بلغ سن الأربعين خرج ليبشر** الناس بالإنسان الأعلى و سن الأربعين هو في الحقيقة السن الذي بُعِث فيه أغلب الأنبياء و الرسل.

يشترط نيتشه تجاوز الإنسان الحديث لكي نصل إلى الإنسان الأسمى و يكون هذا من خلال تجاوز قيم الخير والشر و هذا التجاوز لا يعني الهروب من الأخلاق و إنما يعني إعادة تقيمها و قلبها " فهذه القيم المدسوسة في نموذج الإنسان الحديث يدعو زارادشت لتخطيها نحو الإنسان الأسمى مع ما تحمله لفظة سمو من تجاوز للذات ، و علاء عليها و على كل ما يمجد قيمتها و يؤكد نيتشه عقب التبشير بتعاليمه حول الإنسان الأعلى ، كمنعطف نوعي جديد ، أن هذا الإنسان ينتمي إلى عالم الأرض ، فمنها اشتقت قيمته الحيوية الأصلية و على الأرض تم تدجينه و ترويض قواه "[3] .

و يرتبط الإنسان الأعلى بالأرض فهو على الرغم من أنه يدعو لسمو إلا أنه في ذات الآن يؤكد أن هذا الرجل يرتبط ينطلق من الأرض لا من السماء ، حتى لا تُفهم عبارة الإنسان الأعلى بمعنى السمو و المثالية ، أو عالم ما وراء الأرض يقول نيتشه على لسان زارادشت في حواره مع فتى **دوحة الجبل** :" و نظر **زارادشت** إلى الدوحة يتكئ عليها الفتى ساكتا فقال له : إن **هذه الدوحة ترتفع**

---

[1]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه و مهمة الفلسفة ، المرجع السابق ، 207.

[2]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المصدر السابق ، ص 31.

[3]) عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه و مهمة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 209.

منفردة على القمة و قد نمت و تعالت فوق الناس و فوق الحيوانات فإذا هي أرادت أن تتكلم بعد بلوغها هذا العلو فلن يفهم أقوالها أحد. إنها انتظرت و لم تزل تتعلل بالصبر ، ولعلها و قد بلغت مسارح السحاب تتوقع انقضاض أول صاعقة عليها . فهتف الفتى متحمسا : نطقت بالحق يا زارادشت ، **إنني اتجهت إلى الأعماق و أنا أطلب الاعتلاء** ، و ما أنت إلا الصاعقة التي توقعتها. تفرس في ، و أنظر إلى ما آلت إليه حالتي منذ تجليت لنا، فما أنا إلا ضحية الحسد الذي استولى عليّ".

و يرفض هذا المبشر (زارادشت أن يكون له أتباع) و يمجد المنفردين بأنفسهم لأنهم في نظره هبات للأرض و الإنسان الأعلى يقول في هذا الصدد : " إنكم في عزلة عن العالم ، أيها المنفردون و لكنكم ستصبحون شعبا في آتي الزمان ، و منكم سيقوم الشعب المختار لأنكم اخترتم نفسكم اليوم.و من هذا الشعب سيولد الإنسان الأعلى (..) سأذهب و حدي الآن أيها الأصحاب ، و أنتم أيضا ستذهبون بعدي و حدكم لأنني هكذا أريد ، هذه نصيحتي إليكم ، ابعدوا عني و فقوا موقف الدفاع عن أنفسكم تجاهي ، بل اذهبوا إلى أبعد من هذا ، اخجلوا من انتسابكم إلي فلقد أكون لكم مخادعا"[1].

ان الغاية من فلسفة نيتشه هو الإنسان الأعلى و ذلك من أجل تجاوز العدمية الغربية ،" ف نيتشه لا يبتغي من التأسيس الجديد للقيم أن يوفر للإنسانية السعادة أو اللذة أو المنفعة ، أو ما شابه ذلك من الغايات الهينة التافهة ، و إنما أراد لشرعة القيم الجديدة ، أن تعلو بمستوى الإنسانية ، و الإرتقاء بها حتى نصل إلى خلق نوع جديد ليس من الإنسانية ، وإنما ممن هم فوق الإنسانية "[2] أي تجاوز "المناحي السلبية في الإنسان المقوم التي أدت به إلى العدمية "[3] هذه الاخيرة يمكن القول عنها أنها الواقع المحدود الذي أراد نيتشه تجاوزه فالعدمية هي الواقع الراهن و الوضع الذي آلت اليه أوروبا بانهزاميتها و وضعها الإرتكاسي ، و عادة الاعمال اليوتوبية تنشا و ترعرع في مثل هذه الأجواء (الحروب ، الا أمل..لخ) ،

[1]) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، المرجع السابق ، ص.ص 95.96.

[2]) وفاء درسوني ، مفهوم التأويل في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 147 .

[3]) محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص 657.

فكان تجاوز نيتشه لهذا الواقع العدمي بتأسيسه لـ يتوبياه المتمثلة في فكرة الإنسان الأعلى ، هذا الإنسان و حده هو الكفيل لتجاوزه للعدمية الأوروبية و الإنسان الأخير فكان بذلك (الإنسان الأعلى) هو الرجل الذي رأى فيه نيتشه بديلا للواقع المعاش .فـ السوبرمان رجل يرفض المساواة و أخلاق الضعف و أعلى من قيمة الملذات و الجسد و إرادة القوة .

و على الرغم من أن الإنسان الأعلى قريب جدا من الإنسان العادي من حيث هو إنسان نشأ عن طريق زواج منتقى . إنسان يعظم الجسد و القوة و الغريزة ، الإ أن هذا الإنسان لم يظهر حقيقة إنما هو فقط رجل من نسيج **خيال** نيتشه وهذا المعطى الثاني هو الذي يبرر قولنا **بيوتوبية** الإنسان الأعلى ذلك أن للخيال دور كبير في العمل اليوتوبي ، و حتى محاولات تجسيده في الواقع المعاش لم تتحقق إنما أسست لـ أنظمة شمولية متعصبة كـ النازية .

لليوتوبيا النيتشاوية خصوصياتها ، فهي ليست من قبيل اليوتوبيات السابقة ، حيث اتسمت هذه الأخيرة بانطلاقها من عالم المثل و عالم الروحاني (اليوتوبيات الدينية) الديني ، حيث أنه في تلك الفترة كان ينشد هؤلاء إلى البحث عن الكمال ، و لأن جملة التراكمات التي خلفتها هذه الفلسفات و اليوتوبيات أدت الى العدمية التي حاول نيتشه تجاوزها و ذلك بانطلاقه من الأرض و الواقع الذي ابتعد عنه الإنسان و هو في الحقيقة أقرب الأشياء إليه . فأصبح الإنسان بالنسبة إلى نيتشه مجرد معبر للوصول إلى الإنسان الأعلى .

هل الحضور اليوتوبي في الفلسفة النيتشاوية حاد أم متفاوت الحدة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تستدعي منا العودة إلى الفلسفة النيتشاوية ذاتها حتى نحكم عليها ، وبما أن هذا العمل تطرق في جزء منه إلى نقد نيتشه للفلسفة ومن ثمة تأسيسه لفلسفته الخاصة ، فإن الحكم على الفلسفة النيتشاوية بأن بها حضور يوتوبي كبير ليس جائزا ، على اعتبار أن غاية غايات

نيتشه هو الإنسان الأعلى ، فقد مهد له انطلاقا من فلسفته و ذلك بعملية الطرق التي طالت الفلسفات السابقة و من ثم تأسيس لفلسفة تليق أن تكون صانعة لـ السوبرمان و متجاوزة الإنسان الأخير ، هذه الفلسفة القائمة على إرادة القوة و العود الابدي ، و أخلاق النبلاء ، المعلية من شأن الجسد والغرائز الهادمة لكل مظاهر العدمية (المسيحية أو غيرها) . الإنسان الأعلى أو اليوتوبيا النيتشاوية إذن تقوم على مبدأ إرادة القوة لا على مبدأ العدالة و لا المساواة . لكن لماذا مبدأ أرادة القوة ؟ إن الهدف من هذا المبدأ هو تجاوز الضعف التي أورث أوروبا إنسانا هجينا ضعيفا وصل إلى أقصى مراحل العدم.

تقــويم

لقد دعى نيتشه إلى تحطيم الأصنام و الأوثان و التي يعتبرها موجودة بكثرة فهو يقول توجد أوثان في هذا العالم أكثر مما توجد حقائق ، و نجده أيضا يرفض أن تصبح أفكاره مقدسة و أصناما جديدة الإ أنه يدافع عنها و يعتبرها الأحق و الأجدر بـ أن تحل محل الأفكار القديمة ، يقول نيتشه :"أشد ما يخيفني هو أن يكرسني الناس ذات يوم للقداسة (..) لا أريد أن أكون قديسا بل أفضل أن أكون مهرجا "[1]، ليعطف بكلام منافٍ لـ الأول من نفس الكتاب قائلا : "قدري أراد لي أن أكون أول إنسان مستقيم ، و أنا أعي نفسي كنقيض لأكاذيب اللآلاف من السنين .. إنني أول من اكتشف الحقيقة لأنني استطعت أن أرى الكذب كـ كذب (..) إنني رسول بشرى سعيدة لمن ليس له مثيل " [2]. ها هو ذا نيتشه يشيد وثنا جديدا يتمثل في أفكاره و فلسفته ، خصوصا في نظرته لـ الأخلاق و الضعفاء ، و الإنسان الأعلى ، إرادة القوة ..

وقع نيتشه إذن في مثالية جديدة ، مركزها الارض و الجسد بالإضافة إلى القوة ، و هدفها هو الإنسان الأسمى ، فعلى الرغم من محاولته لتجاوز مثالية أفلاطون إلا أنه وقع فيها ، فعند تنظيره **للسوبرمان** ظل هذا الإنسان الذي دعى له نيتشه بعيدا عن الواقع و لم يتجسد هذا الإنسان على أرض الواقع و إذا ما وجد فإنه فقط في روايات المصورة و الأفلام التلفزيونية، بل إن محاولة تجسيده أدت إلى شيوع النظام الشمولي في ألمانيا متمثلا في النازية ، فعلى الرغم من أن نيتشه كان ضد السامية الإ أنه لم يكن عنصريا ، و قد تأثر هتلر بأفكار نيتشه خصوصا في مسألة تمجيده للجنس الجرماني .

نقطة أخرى يمكن التعقيب عليها في فلسفة نيتشه وهي بحث نيتشه عن الأصول الأشياء و بداياتها ؟ ألا يعد هذا ضربا من المستحيل و بحثا في الميتافيزيقا غير النهائية ، حيث لا يوجد جواب

[1]) فريدريك نيتشه ، هذا هو الانسان ، مصدر سابق ،ص 153

[2]) المصدر نفسه ، ص 154.

نهائي في مسألة البحث عن البدايات ؟ " إن سؤال الأصل هو في الحقيقة بديل **لليوتوبيا** ، لأنه يسقط خصوصيات الواقع و التاريخ و يتعلق بأهداب العقل و افتراضات الخيال . و بهذا فإنه يدخل في الأبحاث الميتافيزيقية لأن هذا السؤال يقتبس من علم ما وراء الطبيعة طريقة البحث و جوهرها و هي أصول الأشياء و مصدرها .فسؤال الأصل هو التساؤل عن الميلاد المحتمل ، لكن هذا السؤال ذاته هو موضوع تساؤل و شك ألا يكون سؤال الأصل كاذبا و منحولا و مشوها ، مطروحا بطريقة غير مستقيمة "[1].

[1]) عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق ، المرجع السابق ، ص.ص .96.95.

خاتمة

خاتمة

بناءا على ما سبق من تحليل و نقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :

1. اليوتوبيا كممارسة ، وجودها ضروري في الفكر الانساني وبدونها تتسم المجتمعات والشعوب و الامم بالتحجر و التصلب .
2. ان النقد النيتشاوي للفلسفة و عملية الهدم التي طالت الفلسفة لكلاسيكية مهدت لظهور فلسفة جديدة مغايرة غيرت نظرتها للعالم.
3. تم الانتقال من خلال عملية القلب هذه ، أصبح العالم يفسر حسب نيتشه من نظرة التفسير انطولوجي التفسير الإكسيولوجي القيمي .
4. إن مبدأ إرادة القوة هو الأساس الذي ترسوا عليه الفلسفة النيتشاوية في مجملها . بما فيها يوتوبياه التي تتجسد في فكرة الانسان الاعلى .
5. إن فلسفة التراتب القيمي ، قلبت القيم ، فأخلاق السادة أصبحت هي الأساس بدل أخلاق الضعفاء ، و الأخلاق الأولى هي أخلاق الإنسان الأسمى.
6. التنظيم الاجتماعي و الأسري بإمكانه ، بل هو أداة مهمة لخلق السوبرمان والتسريع في ظهوره و هذا عن طريق الانتقاء و الاصطفاء.
7. نقد الفلسفة الدينية بشكل مجمل ، والتكفل بقتل الإله ، و هذا من أجل عبور الإنسان الأعلى الذي يرفض فكرة المساواة أمام الله .
8. الفن و الجمال ، هما أداتان لتجاوز العدمية الأوروبية .
9. الغاية و الهدف من عملية قلب القيم ، هو تجاوز العدمية الأوروبية وهذا من أجل تجاوز الإنسان الأخير نحو الإنسان الأسمى.

10.لم يحدد نيتشه هوية الإنسان الأعلى بل اكتفى بتعديد صفاته و مزاياه ، و ترك أمر كينونته مفتوحا لأبواب التأويل .

11.الإنسان الأعلى لديه هو ابن الأرض ، فعلى الرغم من دلالة الاسم التي تعني السمو والعلو إلا أنه يحيا من أعماقها على حد تعبير زارادشت.

12. الفلسفة العدمية النيتشاوية هي الفلسفة المبشرة بقدوم الإنسان الأعلى ، و هذا انطلاقا من نكرانها للحياة من أجل الإقدام على الحياة.

13.اللغة النيتشاوية لها خصوصية ، فهي شبيهة بلغة الكتب المقدسة.

14.فكرة اليوتوبيا النيتشاوية ، متواجدة فعليا من خلال كتاباته ، ولهذه اليوتوبيا خاصية تماثل خاصية الفلسفة النيتشاوية ، فإذا ما كانت الفلسفة قلبا للقيم ، فان اليوتوبيا عنده ايضا مقلوبة رأسا على عقب غير انها ظلت بعيدة عن الواقع رغم انطلاقها منه .

الملاحق

صفات الحارس الجيد

يوضح ملامح وصفات الحارس الجيد لـ مدينته المثالية فيقول على لسان سقراط في حواره مع كولكون:

" سقراط : هل توافق على أن الشاب النبيل يشبه جدا الكلب ذا النسل الجيد ، فيما يتعلق بالحراسة والمراقبة.

كولوكون: ماذا تعني؟

سقراط : أعني ، أنه يجب على كل منهما أن يرى بسرعة ، و يفاجئ عدوه بسرعة عندما يبصره ، وان يكون قويا أيضا عندما يمسك به ، ويصارعه.

كولوكون : سيحتاجون الى تلك النوعيات بكل تأكيد.

سقراط : حسنا ، ويجب أن تكون وصيتك شجاعا إذا كان سيحارب جيدا.

كولوكون: بالتأكيد.

سقراط: وهل سيكون شجاعا من لا يمتلك نفسا على اية حال ، أكان حصانا ،أو كلبا أو أي حيوان آخر؟ ألم تراقب كيف هي النفس التي لا تقهر ولا تغلب وكيف يجعل وجودها روح أي مخلوق غير خائفة أو مهزومة بالكلية؟

كولوكون :راقبت ذلك .

سقراط :إن لدينا الآن انطباعا صافيا عن النوعيات الجسدية التي يحتاج اليها وصينا.

كولوكون:حقا.

سقراط: وللنوعيات العقلية ، يجب ان روحه يجب أن تكون ممتلئة نفسا!!

كولوكون:حقا مرة ثانية.

سقراط: لكن كيف تقدر تلك الطبائع النفسية الكف عن تكون فظة بعضها مع البعض ، ومع الاخرين؟

كولوكون:صعوبة ليس من السهل التغلب عليها.

سقراط:لما كان من المتوجب عليهم أن يكونوا خطرين على اعدائهم و ودعاء لأصدقائهم ،وإن لا، سوف يدمرون أنفسهم وبذلك يوفرون على أعدائهم مشقة تدميرهم .

كولوكون :حقا.

سقراط : ما العمل حينئذ؟ وكيف سنجد الطبيعة الوديعة التي لديها نفس سامية أيضا، ما دامت الواحدة مناقضة لـ الاخرى.[1]

كولوكون :حقا."

" سقراط : ومع ذلك فمن المحتم عليهم أن يظهروا الوداعة مع مواطنيهم ، والشراسة مع أعداءهم ، وإلا ألقوا بأنفسهم الى التهلكة، دون ان ينظروا حتى يهلكهم الاخرون.

كولكون : هذا حق.

سقراط :ولكن ما العمل ؟ وأين لنا أن نجد طبيعة تجمع بين اللين والشدة ؟ إن الوداعة والشراسة لتتنافران وتتناقضان.

كولكون :أجل هذا واضح .

ومع ذلك ، فلو افتقر الحارس الى إحداهما لما عاد صالحا لعمله على أن الجمع بينهما يبدوا محالا ، وهكذا يبدوا أن من المستحيل أن نهتدي الى حارس صالح .

كولكون : ماذا تعني ؟

سقراط :أعني انه توجد بحق طبائع تجمع بين هذه الصفات المتناقضة،التي بدا الجمع بينها مستحيلا.

كولكون : وكيف يكون ذلك.

سقراط : إن ذلك ليتبدى في حيوانات متعددة ، وبخاصة في ذلك الذي كنا نقارنه بحراسنا. فأنت تعلم ولا شك أن طبيعة الكلاب الاصيلة هي أن تكون على عكس ذلك بالنسبة الى من لا تعرفهم ؟

كولكون :أجل اعرف ذلك

سقراط : إذن فحل المشكلة ممكن ، ولن نكون مخالفين للطبيعة إذا سعينا الى الاهتداء الى حارس تتوافر له هذه الصفات.

كولكون:ذلك لا يبدوا مستحيلا.

سقراط :ولكن ألا يبدوا أن من أردناه حارسا ، مازال يفتقر الى صفة معينة حتى يبلغ الكمال في حراسته ، وهي أن يجمع الى الحماسة الفياضة ، صفات الفيلسوف؟

---

[1]) افلاطون ، المحاورات الكاملة ، تر: شوقي داود تمراز ، الاهلية للنشر والتوزيع،بيروت ، المجلد الاول (الجمهورية) ، د.ط.، 1994،ص111.

كولكون :إنني لا افهم ما تعنيه.

سقراط :إن الصفة التي أتحدث عنها يمكن الاهتداء إليها لدى الكلب أيضا وهي صفة تستحق التقدير فيه.

كولكون:أي صفة تعني ؟

سقراط :أعني الكلب يثور كلما رأى غريبا،وإن لم ينله منه أي اذى ، على حين أنه يرحب بمن يعرفه، حتى لو لم يتلقى منهم خيرا. ألم تلاحظ ذلك من قبل؟

كولكون:اي صفة تعني ؟

سقراط :أعني أن الكلب يثور كلما رأى غريبا، وإن لم ينل منه أي أذى، على حين أنه يرحب بمن يعرفه ، حتى لو لم يتلق منه خيرا .الم تلاحظ ذلك من قبل ؟

كولكون : الحق أنني لم أوجه انتباهي إلى هذا الأمر مطلقا ، ولكن من المؤكد أن الكلب يسلك كما تقول .ولا جدال في هذه الصفة الطيبة. بل هي صفة الفيلسوف بحق .

سقراط : كيف ذلك.

كولكون: ذلك أنه لا يميز صديقه من عدوه إلا على أساس المعرفة أو عدم المعرفة وحدهما.وأظنك ترى معي أن حيوانا يميز ما يحبه مما يكرهه بمقياس المعرفة والجهل لابد أن يكون من محبي المعرفة والعلم ."[1]

[1]) ماريا لويز برنيري ،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق،30،29.

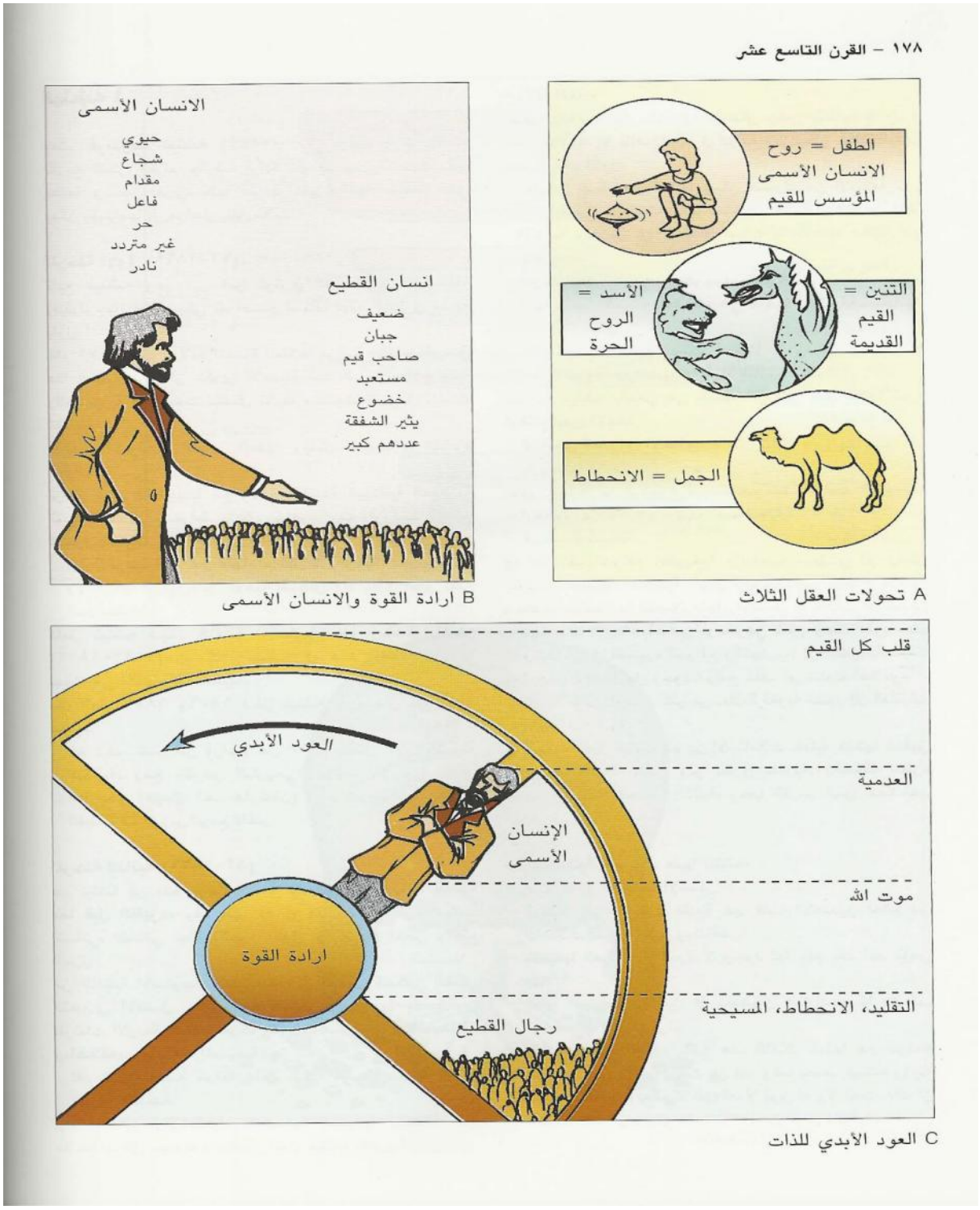

فهم نيتشه للوجود الإنساني وعملية قلب القيم

بيتر كونزمان و آخرون ، أطلس الفلسفة ،تر:جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، لبنان،(ط2)،2007، ص178.

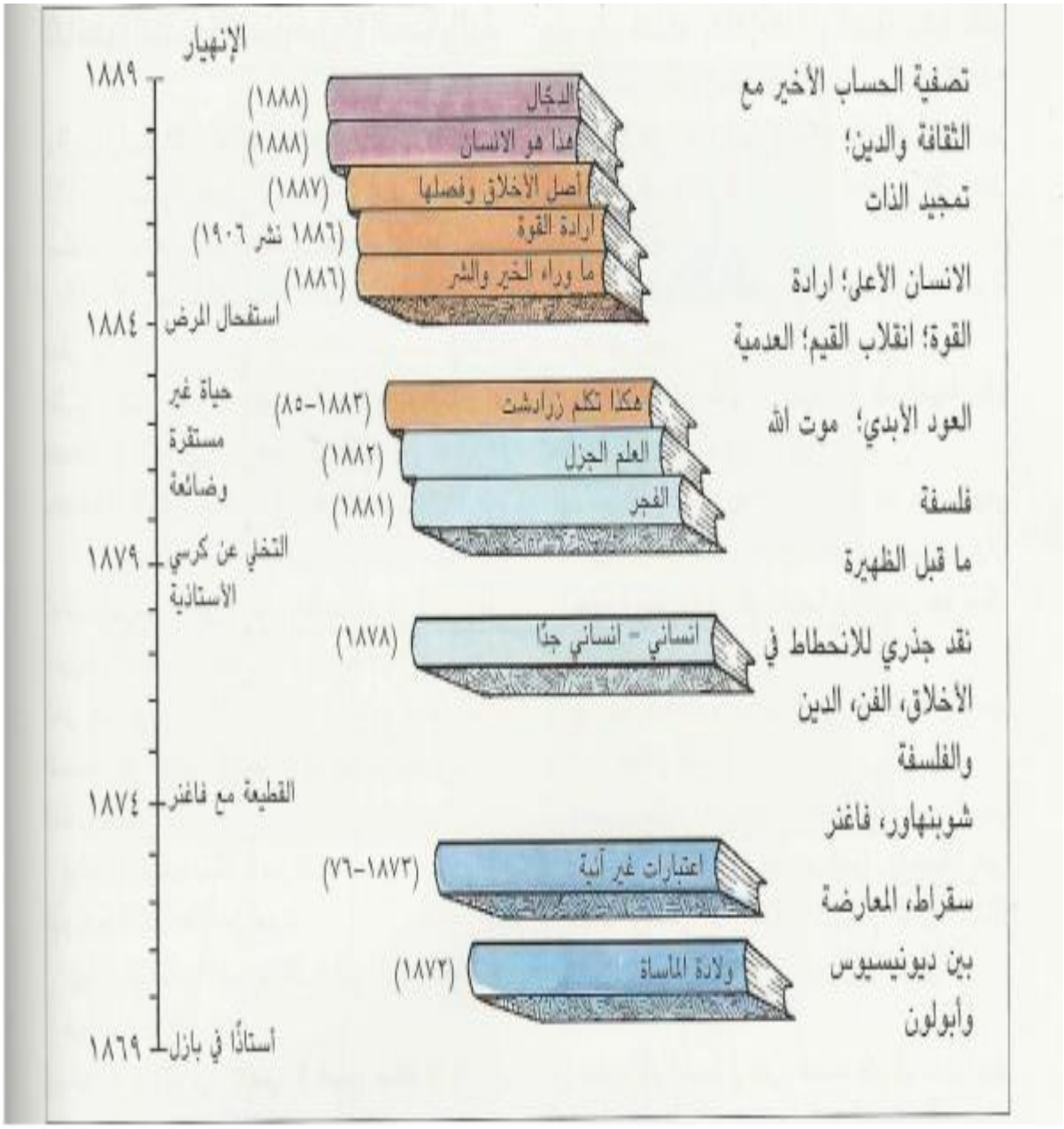

أ : أبرز أعمال فريدريك نيتشه

بيتر كونزمان و آخرون ، أطلس الفلسفة، مرجع سابق ،ص 186.

المصادر و المراجع

قائمة الكتب المقدسة

1- القرآن الكريم

2- إنجيل متى

3- رسائل بولس

قائمة المصادر

1. Friedrich Nietzsche , Ainsi parlait Zarathoustra , Traduction : Henri Albert , La Gaya Scienza ., Paris , 2012

2. أفلاطون ، جمهورية تر: أميرة حلمي مطر ، مكتبة الأسرة ، مصر ، د.ط.

3. أفلاطون ، المحاورات الكاملةّ : محاورة فايدروس ، تر: شوقي داود تمراز ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت، مجلد5، 1994.

4. توماس مور، اليوتوبيا ، تر: أنجيل بطرس سمعان ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ،مصر ، ط2 ، 1987.

5. فريدريك نيتشه ، إرادة القوة ، تر: محمد ناجي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، د.ط، 2011.

6. فريدريك نيتشه ، أفول الأصنام ، تر: حسان بورقية ومحمد الناجي ، إفريقيا الشرق ، ط1، 1996.

7. فريديريك نيتشه ، أصل الأخلاق وفصلها ،تر: حسن قبسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ،د.ط، د.س.

8. فريديريك نيتشه ، إنساني مفرط في إنسانيته ، تر: محمد الناجي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط1، ج1، 2002.

9. فريدريك نيتشه ، العلم الجذل ، تر: سعاد حرب ، دار المنتخب العربي ، لبنان ، د.ط ، د س ن.

10. فريدريك نيتشه ، الفجر ، تر: محمد ناجي ، إفريقيا الشرق ،المغرب ،د ط ،2013.

11. فريدريك نيتشه ، جنيالوجيا الأخلاق تر: فتحي المسكيني ، دار سيناترا ، تونس ،ط1 ، 2010.

12. فريدريك نيتشه ، عدو المسيح ، تر: جورج مخائيل ديب، دار الحوار ، ط2 ،(دس).

13. فريدريك نيتشه ، ماوراء الخير والشر ، تر : حسان بورقية ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006.

14. فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر ،تر: موسى وهبة ، دار الفرابي، لبنان ، (د ط)، (د س).

15. فريدريك نيتشه ، مولد التراجيديا ،تر: شاهر حسن عبيد ، دار الحوار، سوريا ط 1 ،2008.

16. فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، تر: على مصباح ، منشورات الجمل ،المانيا – بغداد ، ط1، 2007.

17. فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زارادشت ، تر: فليكس فارس ، مطبعة جريدة البصير ، مصر ،د.ط ،1937.

18. فريدريك نيتشه ،هكذا تكلم زارادشت ، تر: فليكس فارس ، مر: عيسى حسن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط 1 ،2009.

19. فريدريك نيتشه ،هو ذا الإنسان ، تر:على مصباح ، منشورات الجمل ، ألمانيا – بغداد(د ط) ، (دس).

قائمة المراجع

1- آرثر شوبنهاور ، العالم كإرادة وتمثل، تر: سعيد توفيق ،المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، (ط1)، 2006.

2- أم الزين بن شيخة المسكيني ، الفن يخرج عن طوره ،جداول ،الكويت ، (ط1)،2011.

3- أم الزين بن شيخة المسكيني ، كانط راهنا ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ،(ط1)،2006.

4- امانويل كانط ، مشروع السلام الدائم ، تر: عثمان أمين ، المكتبة الأنجلو مصرية ،مصر ،(ط1) ، 1952م.

5- إميل سيوران ، المياه كلها بلون الغرق ،تر: ادم فتحي، منشورات الجمل ،كولونيا- ألمانيا ، (دط)، 2003.

6- إميل سيوران ، تأريخ ويوتوبيا ، تر: آدم فتحي ، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، (د.ط)، 2010.

7- آيتين هنري جلسون ، روح الفلسفة المسيحية ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، مصر ،(ط3)، 1996.

8- بن دوخة هشام ، الفلسفة والنسوية : نيتشه والوجه الاخر للمرأة ، منشورات الاختلاف ،الجزائر،(ط1)، 2013.

9- بول ريكور ، محاضرات في اليوتوبيا والايدولوجيا ، تر: فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، (د.ط) ، 2002.

10- بيار هيبر سوفرين ، زارادشت نيتشه ، تر:أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، (ط2)، 2002

11- بيتر سلوترديك ، الأنجيل الخامس لنيتشه ، تر: علي مصباح ، كولونيا – ألمانيا ، (د-ط) ، 2003.

12- بيير بودو ، نيتشه مفتتا ، تر: اسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان، (ط1) ، 1996.

13- بيير مونتيبيلو ، نيتشه و إرادة القوة ، تر : جمال مفرج ، منشورات الاختلاف ، الجزائر (ط 1)، 2010.

14- جون ليتشه ، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، تر: فاتن البستاني ، المنظمة العبية للترجمة ، لبنان ، (ط1)، 2008.

15- جيل دولوز ، نيتشه والفلسفة ، تر: أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، (ط1)، 1993.

16- جيل دولوز ،نيـــــتشهّ ،تر: أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، (ط1)، 1998.

17- حبيب الشاروني ، فلسفة فرانسيس بيكون ،دار الثقافة ،المغرب ،(ط1)،1981.

18- سلامة موسى ، هولاء علموني ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، مصر ، (دط)، 2011.

19- صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د.ط)، 1999.

20- عبد الرحمن بدوي ، نيتـــــشـــه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، (ط)5، 1975.

21- عبد الرزاق بالعقروز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ،منشورات الإختلاف ، الجزائر ،(ط1)، 2010.

22- عبد الكريم عنيات ، نيتشه والإغريق ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ، (ط1)،2010.

23- عبد الله عبد الهادي المرهج ، فلسفة الدين : نقد الفكر الديني في فلسفة نيتشه ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، (ط1) ،2012.

24- عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى افلاطون ، ذات أسلاسل ، الكويت ، (د.ط) ، 1993.

25- علي عبود المحمداوي و أخرون ، اليوتوبيا و الفلسفة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، (ط1) ،2014م.

26- علي عبود المحمداوي وآخرون ، خطابات ما بعد : ما بعد الحداثة ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ،(ط)1،2013.

27- كارل بوبر ، أسطورة الإطار ، تر: يمنى طريف الخولي ، عالم المعرفة ،كويت ، (ط1)،العدد 292، 2003.

28- كارل منهايم ، الايدولوجيا و اليوتوبيا ، تر: محمد رجا الدريني ، شركة المكتبيات الكويتية ، الكويت ، (ط1)، 1980.

29- ماركس هوركايمر ، بدايات فلسفة التريخ البرجوازية ، تر: محمد على اليوسفي ، دار التنوير ، بيروت ، (د.ط)، 2006.

30- ماريا لويز برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، تر:عطيات أبو سعود، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 225 ، 1997م.

31- محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، (ط1) ،2008.

32- محمد أندلسي ، نيتشه و سياسة الفلسفة ، دار توبقال ، المغرب ،(ط1)، 2006.

33- محمد جديدي ، الفلسفة الاغريقية ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ، (ط1)،2009.

34- محمد حمدي ابراهيم ، نظرية الدراما الإغريقية الشركة المصرية العالمية ، مصر (د ط)،1994.

35- محمد عبد المعز نصر ، فلسفة السياسية عند الألمان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ط) ، 1982.

36- والتر كاوفمان ، التراجيديا والفلسفة ، تر: كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، (ط1)، 1993.

37- وفيق عزيزي ، شوبنهاور و فلسفة التشاؤم ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، (ط1)،2008.

38- ويل ديورانت ، قصة الفلسفة الحديثة ، تر: فتح الله محمد المشعشع ، دار المعارف ، (ط6)، 1988.

39- يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد264 ، 2000م.

40- يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر ،(ط5) ، د س.

الدراسات السابقة

1- أمزيان حسين، الإغريق و اليهود و الألمان في فلسفة نيتشه ، اشراف : حداد مصطفى و زروخي اسماعيل ،جامعة منتوري، قسنطينة ، 2007/2006.

2- وفاء درسوني ، مفهوم التأويل في فلسفة نيتشه ، جامعة منتوري قسنطينة ، جمال مفرج ،2006/2005.

الدوريات و المجلات

1- عامر حسن و عماد احمد ، مستقبل الايدولوجيا اليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث ، مجلة العلوم السياسية ،العدد 43.

الموسوعات و القواميس

1. larousse ,didionnaire de langue francaise lexis ,France , 1990

2- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ،تر:خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ،(ط2)،2001م.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (د ط) ، (ج 2)، 1982.

4- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (د ط)، (ج 1)، 1982.

5- جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة ،لبنان،(ط3)، 2006.

6- فؤاد كامل و آخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم ، لبنان ، (د .ط)،(د .ت).

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
البسملة	01
الإهداء	02
الشكر	03
مقدمة	04
الفصل الأول: اليوتوبيا الفكرة والمخيال	10
المبحث الأول: ماهية اليوتوبيا	10
1-ضبط إصطلاحي	10
2- أنواع اليوتوبيا	12
المبحث الثاني:اليوتوبيا بوصفها فلسفة	17
أ- نماذج اليوتوبيا	18
1- أفلاطون	18
2- فرنسيس بيكون	21
المبحث الثالث:جدلية النهاية والضرورة الانسانية	25
مصير اليوتوبيا	31
الفصل الثاني: البعد الميتافيزيقي في فلسفة نيتشه	33
المبحث الأول: الثورة على الميتافيزيقا الكلاسيكية	33
المبحث الثاني: الميتافيزيقا المضادة	47
1- قلب الأخلاق	48
2- الجسد أساس للميتافيزيقا النيتشاوية	50
المبحث الثالث:إرادة القوة أساسا لليوتوبيا النيتشاوية	54
الفصل الثالث: موضوع اليوتوبيا النيتشاوية	58
المبحث الأول: القيم والتراتب	58
1-أخلاق الأقوياء	63

المبحث الثاني: الإنسان	67
العلاقات الإنسانية	67
1-الصداقة	68
2-الأسرة	69
3- المرأة	70
4- الزواج	73
المبحث الثالث:الميثولوجيا في فلسفة نيتشه	76
1- الله	76
2- الدين	78
المبحث الرابع:الفن	83
1- خروج الفن عن طوره	87
2- إجتماع الفظيع والفن	87
الفصل الرابع: النموذج اليوتوبي عند نيتشه	93
المبحث الاول:الإنسان الأعلى	93
1- السوبرمان	94
المبحث الثاني :هوية الإنسان الأعلى	98
1- علاقته بعالمنا	102
المبحث الثالث:الفلسفة المبشرة بالإنسان الأعلى	104
1- العدمية أداة لإنتاج الفلسفة المبشرة بالإنسان الأعلى	104
2- التبشير بالإنسان الأعلى	107
3- لغة البشارة النيتشاوية بالإنسان الأعلى	108
4- بشارة زرادشت	109
تقيم	115
خاتمة	116
قائمة الملاحق	118

الملحق الأول	118
الملحق الثاني	121
الملحق الثالث	122
قائمة المصادر والمراجع	123
الفهرس	130

ملخص

يختزن العمل الفلسفي ، يوتوبيا كامنة بداخله هذا إذا لم نقل أن النص اليوتوبي ليس سوى نص فلسفي في أجزاء كبيرة منه و أن هذا الأخير يحتوي الأول على اعتبار أنه أوسع و أشمل. و لأن للنص النيتشاوي ما يميزه فهو من النوع الأدبي الشعري الذي جاء في شكل شذرات متقطعة تحاكي فلسفته تلك الفلسفة القائمة على اساسا على النقد و الهدم للفلسفات السابقة و من ثمة إعادة البناء ، أي محاولة تأسيس لفلسفة جديدة تقوم على تراتب و تقيم جديد.

لقد توصلت هذه الدراسة إلى وجود يوتوبيا كامنة داخل النصوص الفلسفية النيتشاوية و هذا انطلاقا من عملية الهدم و إعادة النظر في الوجود ، فنتج عن هذا إعادة ترتيب القيم إجمالا ، و هذا من أجل خلق **الإنسان الأعلى** و لتجاوز العدمية الأوروبية ، فـ **السوبرمان** يجسد في الحقيقة نموذج الاكتمال اليوتوبي عند نيتشه ، لكن قبل الوصول لهذا الاكتمال كان هناك نوع من إعادة **ترتيب** القيم و التي من خلال إعادة النظر فيها و ترتيبها من جديد ظهرت قيم تناسب الإنسان الأعلى كالأخلاق السادة و الفن و الجمال التراجيديين و نقد الدين و قتل الإله و هذا كله ليمهد لظهور الإنسان الأعلى اليوتوبي النيتشاوي.

Résumé

Mettre en mémoire le travail philosophique, Utopia se cachent à l'intérieur de ce sinon texte utopique est seulement un texte philosophique dans une grande partie de celui-ci, et ce dernier contient le premier comme un plus large et plus globale. Et parce que le texte de Nietzsche que ce qui le distingue est un genre poétique qui a pris la forme de pépites intermittents imiter sa philosophie que la philosophie est principalement basée sur la trésorerie et de la démolition de l'ancien et les philosophies d'une reconstruction, toute tentative d'établir une nouvelle philosophie basée sur une hiérarchie et d'évaluer à nouveau.

L'étude a révélé la présence de l'utopie au sein des textes philosophiques de la démolition et examen existe, ce qui entraîne la remise en ordre des valeurs dans l'ensemble, et cela afin de créer un top humain et de contourner le nihilisme européen, en Superman incarne le formulaire d'achèvement vraiment utopique quand Nietzsche, mais avant qu'il n'y avait une sorte de réorganiser les valeurs par le biais de la révision complète et le classement des nouvelles valeurs correspondent en vedette Homme haut comme maîtres de la morale et de l'art et la beauté tragique et la critique de la religion et le meurtre de machine et tout cela pour ouvrir la voie à l'émergence de l'idéale utopique de Nietzsche .